محاولات للتقريب

بين الحنابلة والأشاعرة

إعداد الدكتور

مسعد عبد السلام عبد الخالق

أستـــاذ العقيـــدة والفلسفـــة المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

القاهرة، جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

محاولات للتقريب بين الحنابلة والأشاعرة

مسعد عبد السلام عبد الخالق عبد السلام

قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة ،جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mosaadabdelsalam.4@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى وضع قواعد صالحة للتقريب بين مدارس أهل السنة عمومًا، ومدرستي الحنابلة والأشاعرة على الخصوص، كما يتضمن التقريب العملي لأهم القضايا الخلافية بين المدرستين بإرجاع الخلاف إلى اختلاف اللفظ والعبارة، بصورة تجعل التقريب أمرًا ممكنًا؛ إذ معظم قضايا الخلاف يمكن الالتقاء فيها حول نقطة تزيل الفرقة وتضيق الفجوة.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة أما المقدمة: فذكرت فيها بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ خطورة الفرقة بين أبناء الأمة، وأهمية البحث، وأهدافه، وخطته، وأما المبحث الأول فعنوانه: التقريب مفهومه وضرورته، وأما المبحث الثاني فعنوانه: الحنابلة والأشاعرة من الوفاق إلى الخلاف، وأما المبحث الثالث: فعنونه: محاولات للتقريب بين الحنابلة والأشاعرة، وأما الخاتمة: فذكرت فيها بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ أهم نتائج البحث، وتوصياته، وفهارسه العلمية..

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي.

النتائج: يعد من أهم نتائج البحث أن التقريب المنشود هو طلب جميع العقلاء الذين يحاولون تقريب المسافات البعيدة بين المذاهب الفكرية في محيط أهل السنة، بحيث يلتقي

أصحاب تلك المدارس حول نقطة واحدة، هي نقطة الاحترام والتواد والتناصح والتكامل، بصورة تجمع الشمل، وتنزع فتيل التشرذم والفرقة، وليس معنى التقريب إدماج المذاهب الفكرية الموجودة في محيط مدرسة أهل السنة في مذهب فكري واحد، بل التقريب الذي ينبغي أن نسعى إليه هو الانطلاق من تمايز المذاهب الفكرية في محيط أهل السنة، مع العدول عن نفي مذهب للمذاهب الأخرى بالتعصب ورفض ما عداه.

الكلمات المفتاحية: التقريب – أهل السنة– الأشاعرة– الحنابلة – ضرورة – ممكن.

Attempts to Bridge the Gap Between the Hanbalis and the Ash'arites

Mosaad Abdel Salam Abdel Khaleq Abdel Salam
Department of Islamic Creed, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Cairo, Al-Azhar University, Egypt
Email: mosaadabdelsalam.4@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to establish valid principles for reconciliation between the schools of Ahl al-Sunnah in general, with a particular focus on the Hanbali and Ash'ari schools. It also includes practical approaches to reconcile the key issues of disagreement between the two schools by attributing the differences to linguistic and terminological variances, making reconciliation a feasible task. Most of the controversial issues can be bridged around a point that alleviates division and narrows the gap.
The research is divided into an introduction, three main sections, and a conclusion. The introduction discusses the significance of unity among the members of the ummah, the importance of the research, its objectives, and methodology. The first section is titled "The Concept and Necessity of Reconciliation." The second section is titled "The Hanbalis and Ash'arites: From Agreement to Disagreement." The third section focuses on "Attempts at Reconciliation Between the Hanbalis and Ash'arites". The conclusion summarizes the main findings, recommendations, and scientific indices of the study.
Methodology:
The research follows an inductive, analytical, descriptive, and deductive approach.
Results:
One of the key findings of this research is that the desired reconciliation is the goal of all rational individuals attempting to bridge the divide between intellectual schools within Ahl al-Sunnah. The adherents of these schools can converge on a singular point: mutual respect, love, counsel, and complementarity. This approach aims to unite the ummah, removing fragmentation and division. Reconciliation, however, does not mean merging the intellectual schools within Ahl al-Sunnah into a single ideology. Rather, the goal is to promote the recognition of distinct intellectual schools within Ahl al-Sunnah while rejecting fanaticism and the negation of other schools.
Keywords: Reconciliation, Ahl al-Sunnah, Ash'arites, Hanbalis, Necessity, Feasibility.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فمنذ ما يزيد عن عشر سنوات ويشغل فكري اختلاف المدارس الفكرية في محيط أهل السنة، ومما زادني ألمًا ظن بعض أتباع هذه المدارس أو تلك أنهم وحدهم أهل الحق، ومن عداهم فالحق بعيد عنهم، حتى إنك واجد في محيط أهل الإسلام من يحمل بغضًا لأخيه المسلم، قد لا يحمل عشره لمن يعادي المسلمين وينهب خيراتهم، والسبب في ذلك: اعتقاد البعض أن الحق وقف على فريق بعينه، وجعله الفروع بمنزلة الأصول، حتى صار النزاع في غير موطن ،مما زاد من شقة الخلاف بين أبناء المسلمين، فإذا أضيف إلى ذلك التعصب المستحكم، والغفلة عما يحيط بأمة الإسلام من مكائد وأخطار، علم أن التقريب بين المسلمين أمر ضروري وواجب الوقت.

ومما أثار دهشتي أنني عندما شرح الله صدري وعزمت أمري أن أكتب في قضية التقريب وجدت الأبحاث والدراسات الكثيرة التي تعنى بالتقريب بين أهل السنة والشيعة مع ما بينهم من قضايا الخلاف التي قد تصل إلى الأصول أحيانًا، ولم أجد دراسة ولا بحثًا يتكلم عن التقريب بين مدارس أهل السنة مع أنهم أولى؛ لاتفاقهم جميعًا في الأصول، وإنما الخلاف بينهم في مسائل فرعية ليست من أصول الدين في شيء.

وقد اخترت أن يكون البحث عن التقريب بين مدرستين كبيرتين من مدارس أهل السنة هما مدرسة الحنابلة والأشاعرة ؛لاتساع الشقة بين المدرستين في الظاهر مع أن الأمر

ليس كذلك، وقد تعرضت لمحاولات ثلاثة من العلماء بذلوا جهدهم في وضع قواعد صالحة للتقريب بين مدارس أهل السنة عمومًا ومدرستي الحنابلة والأشاعرة على الخصوص، كما حاولوا التقريب العملي لأهم القضايا الخلافية بين المدرستين بإرجاع الخلاف إلى اختلاف اللفظ والعبارة، وسميت تلك الدراسة بـ (محاولات للتقريب بين الحنابلة، والأشاعرة)، وأهدف من هذه الدراسة إلى أمرين:

١-إثبات أن التقريب أمر ممكن، وأن معظم قضايا الخلاف يمكن الالتقاء فيها حول نقطة تزيل الفرقة وتضيق الفجوة.

٢-لفت أنظار الباحثين إلى أهمية خوض غمار هذا الموضوع، فهو ميدان كبير من ميادين الجهاد في هذا الزمن، إذا أردنا أن تكون لنا مكانة بين الأمم في حاضرنا ومستقبلنا.

- وقد قسمت بحثي إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- أما المقدمة: فذكرت فيها بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ خطورة الفرقة بين أبناء الأمة، وأهمية البحث، وأهدافه، وخطته.
- وأما المبحث الأول فعنوانه: التقريب مفهومه وضرورته.
- وأما المبحث الثاني فعنوانه: الحنابلة والأشاعرة من الوفاق إلى الخلاف.
- وأما المبحث الثالث: فعنونه: محاولات للتقريب بين الحنابلة والأشاعرة.
- وأما الخاتمة: فذكرت فيها بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ أهم نتائج البحث، وتوصياته، وفهارسه العلمية.

هذا، وإني لأرجو من الله - تعالى - أن يكون هذا البحث بداية لمشروع علمي كبير، يكون من ثمرته نبذ الفرقة والخلاف في محيط الأمة، وإسقاط جميع الرايات إلا راية الإسلام والإيمان، وأن ينفع كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة؛ إنه - تعالى - خير مسئول وبالإجابة جدير.

المبحث الأول

التقريب مفهومه وضرورته

مفهوم التقريب.

أولاً: التقريب لغة:

يطلق التقريب في اللغة على معانٍ: منها:

١-ضد البعد: ومنه: قريب الرجل، أي مدانيه من نسب أم أو أب، وقرابة الرجل عشيرته الأدنون، ومنه: قرابين الملك أي خاصته وجلساؤه، وقِراب السيف أي الجلد الذي يكون فيه السيف، وهو غير الغمد، ومنه: مقاربة الشيء كأن تقول: معي قرابة ألف درهم، ومنه: التقريب بين المتخاصمين بجعلهم يتصالحون، وتقريب المعنى بجعله مفهومًا.

٢-الطلب: ومنه قول العرب: قربت الإبل الماء إذا طلبته، وفلان يقرب حاجة أي يطلبها.

٣-التعجل: كقول الرجل لصاحبه إذا استحثه: تقرب أي تعجل.

٤-القصد والاعتدال: تقول: متاع مقارب أي ليس بنفيس، بل وسط بين الجيد والرديء، ومنه قول النبي ﷺ: «**فسددوا وقاربوا**» [(١)]، أي اقتصدوا في الأمور كلها، واتركوا الغلو فيها.

٥-الوسيلة إلى الشيء: ومنه قوله – تعالى -: ﴿ ❁ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا ...﴾ الآية [المائدة: ٢٧]، فالقربان ما قربت إلى الله تبتغي بذلك قربه، فهو وسيلة إلى قربك من الله – تعالى -، ومنه: المقربة: وهي طريق صغير ينفذ إلى طريق كبير [(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، ك/ بدء الوحي، ب/ الدين يسر، حديث رقم (٣٩)، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد: (١/ ٣٢٤)، مادة (برق)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري الهروي: (٩/ ١٠٨) مادة (قرب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيدة: (٦/ ٣٩٠)، مادة (قرب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، لسان العرب لجمال الدين ابن منظور؛ (١/ ٦٦٢) مادة (قرب) دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٦-المقاربة: وهي كيفية معالجة موضوع أو مشكلة [١].

وعند التأمل في المعاني السابقة نلحظ ما يلي:

أ- أن التقريب بمعنى الطلب، وبمعنى التعجل، وبمعنى الوسيلة إلى الشيء يمكن إرجاعه إلى التقريب الذي هو ضد البعد، فطلب الإبل للماء لا يكون إلا باقترابها من مكانه، وطلب المرء حاجة يعني أنه يريد أن تكون قريبة منه بحصوله عليها، والتقريب بمعنى التعجل لا يبتعد عن التقريب الذي هو ضد البعد؛ إذا مراد القائل من قوله: تقرَّب أو تعجل أن يبتعد صاحبه عن حال التواني، ويقترب من حال السرعة والعجلة، والوسيلة إلى الشيء طريق يقرب منه ويوصل إليه، فرجعت المعاني الثلاثة إلى معنى التقريب الأول الذي هو ضد البعد.

ب- أن التقريب قد يكون حسيًا، وقد يكون معنويًا، فالحسي مثل قراب السيف، وقرابين الملك، والمعنوي مثل قرابة الإنسان، والتقريب بين المتخاصمين.

ثانيًا: التقريب في الاصطلاح الكلامي والفلسفي:

يعرف التقريب في الاصطلاح الكلامي والفلسفي بأنه: سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب، أو سوق المقدمات على كيفية معينة بحيث يلزم عنها النتيجة أو المدعى [٢]، ويعتبر جميل صليبا ت (١٩٧٦) هذا التعريف خاصًا بالمتقدمين، أمَّا المحدثون: فالتقريب

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد: (١/ ١٧٩١)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني: صـ٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي: (١/ ٤٩٧)، ت/ د علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د/ عبد المنعم الحفني: صـ٢١٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٠م.

عندهم هو إدناء الشيء من الحقيقة، كما يطلق على المعرفة التي تقترب شيئًا فشيئا من الكمال، ويطلق أيضًا على إدناء أحد الشيئين من الآخر [١].

ويعرف لالاند (ت ١٩٦٣م) التقريب بأنه سمة مسارين أو عدة مسارات تلتقي عند نقطة واحدة مثل تلاقي الأشعة [٢].

التقريب المقصود في هذا البحث:

عندما نستحضر المعاني اللغوية للتقريب، وبعض التعريفات الاصطلاحية السابقة، فإنه يمكن أن نبين معنى التقريب الذي نريده في بحثنا هذا ومنه، فالتقريب الذي نقصده هو: طلب جميع الوسائل التي تقرب المسافات البعيدة بين المذاهب الفكرية في محيط أهل السنة، بصورة يظهر فيها القصد والاعتدال، بحيث يلتقي أصحاب تلك المدارس حول نقطة واحدة، هي نقطة الاحترام والتواد والتناصح والتكامل، بصورة تجمع الشمل، وتنزع فتيل التشرذم والفرقة.

فليس معنى التقريب الذي أقصده إدماج المذاهب الفكرية الموجودة في محيط مدرسة أهل السنة في مذهب فكري واحد؛ فإن ذلك لا يتأتى، ولو صح لا يكون عملًا ذا فائدة؛ فكل مذهب فكري يقوم على مناهج تتجه في مجموعها إلى النصوص الإسلامية، ومن الأفضل أن تبقى تلك المناهج؛ لتكون تراثًا خالدًا لجميع المسلمين [٣].

بل التقريب الذي ينبغي أن نسعى إليه هو الانطلاق من تمايز المذاهب الفكرية في محيط أهل السنة مع العدول عن نفي مذهب للمذاهب الأخرى بالتعصب ورفض ما عداه، فالتقريب تعايش بين المدارس الفكرية المختلفة، مع اكتشاف الإطار العام الجامع لها،

---

(١) المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا: (١/ ٣٢٠)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١٩٨٢م.

(٢) موسوعة لالاند الفلسفية: (١/ ٢٢٨)، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

(٣) الوحدة الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة (رحمه الله): صـ٢٧٦، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

ومناطق الاتفاق بينها، وتحديد مناطق التمايز والاختلاف [١]؛ لمحاولة سد الفجوة، وتوحيد الصف المسلم، ومحاولة الوصول إلى تقارب في وجهات النظر المختلفة بصورة توفر سعة الأفق والتسامح [٢] بين مدارس أهل السنة ولاسيما مدرستي الأشاعرة والحنابلة.

ضرورة التقريب:

إن التقريب بين المدارس الفكرية الموجودة في محيط مدرسة أهل السنة ضرورة شرعية، وفكرية، ووقتية.

أما كونه ضرورة شرعية؛ فلعموم النصوص التي تؤكد على الوحدة ونبذ الفرقة، والتي منها قول الله – تعالى –: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله – تعالى –: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾[الأنفال: ٤٦].

وأما كونه ضرورة فكرية؛ فلأن أصول مدارس أهل السنة العقدية واحدة، والخلاف الموجود بينها إنما هو في فرعيات، وليس من شك أن اتفاق الأصول يأخذ إلى نبذ الخلاف في الفروع، عند التخلي عن التعصب ورؤية الذات.

فمدارس أهل السنة العقدية، والتي تمثل تنوعًا في إطار أصول الدين ليس خلافها وتعدديتها في ثوابت الاعتقاد، وإنما في المقالات والنظريات والتصورات المتعلقة بالفروع ذات الصلة والعلاقة بالأصول، فكثير من مباحث الذات والصفات مثلًا هوامش على

(١) التقريب بين المذاهب الإسلامية د/ محمد عمارة بحث منشور بمجلة أمة الإسلام العلمية، السودان العدد (١) صـ٢١٣، مارس ٢٠٠٩م.

(٢) استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية ودورها في وحدة الأمة. د/ محمد حسن تبراينان، مقال منشور بمجلة المنبر (الصادرة عن هيئة علماء السودان) العدد (١) صـ١٥٨ مارس ٢٠٠٧م.

مباحث التوحيد، ولا علاقة لها بجوهر الاعتقاد [١].

وبرغم أن الخلاف في الفروع العقدية لا يوجب تضليلًا ولا تفسيقًا [٢]، إلا أن من المسلمين من يقوم بتصديع وحدة الأمة، وتغذية تفرقهم، وتمزيق جماعتهم؛ بناء على الخلاف في فروع متصلة بمباحث العقيدة، وهو يظن بنفسه أنه ينصر دينا، ويحمي يقينًا، مع أنه في الحقيقة يناضل في غير موطن، ويجاهد في غير ميدان الجهاد.

فالميدان الحقيقي للجهاد الفكري الآن هو في التقريب بين مدارس أهل السنة في دائرة أصول الدين، أو علم الكلام، وذلك بنزع الألغام التي تقصم وحدة الأمة، وذلك بالتكفير، أو التفسيق، أو التضليل لفريق من الفرقاء، أو مذهب من المذاهب [٣].

وأما كون الترغيب ضرورة وقتية؛ فلما تمر به الأمة الآن من تربص الأعداء وتفرق الأبناء، فأعداء الإسلام الطامعين يتخذون من اختلافاتنا أبوابًا يلجون منها إلى مقاصدهم الباغية، ويعملون كل ما في وسعهم؛ لإذكاء نيران الفرقة؛ ليضربوا المسلمين ببعض، ثم يضربوهم جميعًا [٤].

وأبناء الأمة في شغل عن قضاياها الكبرى؛ بسبب انشغالهم بأمور فرعية ليست من أصول الدين في شيء، ولا تؤثر في الاعتقاد، إلا أن تزيد المسلم بعدًا عن أخيه المسلم، وتغافلًا عن هموم المسلمين التي تحتاج إلى رأب الصدع، وتوحيد الصف.

---

(١) استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو): صـ٥١، منشورات المنظمة: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٢) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي: صـ٣١٠، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

(٣) استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية: صـ٢٥، التقريب بين المذاهب الإسلامية د/ محمد عمارة، صـ٢١٩.

(٤) تجربة التقريب بين المذاهب، فهمي هويدي: صـ١٢٠ بحث منشور بمجلة أمة الإسلام العلمية، السودان، العدد (٤) ديسمبر ٢٠٠٩م.

المبحث الثاني

الحنابلة والأشاعرة من الوفاق إلى الاختلاف [١]

ينتسب الحنابلة والأشاعرة إلى إمامين كبيرين من أئمة أهل السنة، فنسبة الحنابلة إلى الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني المضري، المولود سنة ١٦٤هـ، والمتوفى سنة ٢٤١هـ [٢]، ونسبة الأشعرية إلى الإمام علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم بن إسماعيل الأشعري، المولود سنة ٢٦٠هـ، والمتوفى سنة ٣٢٤هـ [٣].

وليس مقصودي بالحنابلة - هنا- أتباع المذهب الفقهي للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -، ولكن مقصودي أتباع المذهب العقدي للإمام أحمد، الذين يتخذون من الإمام أحمد شعارًا ومرجعًا في جميع آرائهم العقدية، ويبالغون في الانتساب إليه، ولهم تسميات عدة، منها: أهل الحديث [٤]، أهل الحديث والسنة [٥]، السلفية [٦]، ويسمى شيخ الأزهر

(١) يفترق الاختلاف عن الخلاف بأن الأول يستخدم عندما يكون الاختلاف لفظيًا أو مبنيًا عن دليل، والثاني يستخدم عندما يكون الخلاف حقيقيًا أو غير مستند إلى دليل، ولذلك فالأصل في الاختلاف أنه يكون رحمة والخلاف ليس كذلك، الكليات لأبي البقاء الكفوي الحنفي: صـ٦١، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ. والشائع استعمال اللفظين مترادفين، وهذا ما أسير عليه في هذا البحث.

(٢) طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى: (١/ ٤) وما بعدها، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، بدون تاريخ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي: (٣/ ٣٤٧)، دار هجر، ط ٢، ١٤١٣هـ.

(٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الإسفرايني: صـ١٩٥، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي: صـ٢٠، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.

(٥) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٢٢)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

(٦) أبكار الأفكار في أصول الدين لسيف الدين الآمدي: ٥/ ٩٦، ت/ د/ أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

عبد الحليم محمود ت (١٩٧٨م) رحمه الله، المتأخرين منهم بالتيميين أي أتباع شيخ الإسلام ابن تيمية، ت (٧٢٨هـ) رحمه الله [١]، وأنا أسميهم متأخري الحنابلة.

هذا، ويذكر أبو القاسم بن عساكر (ت ٥٧١هـ) أنه كان الأشعري وأحمد في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين، وأنه لم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على مر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع؛ لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات، وأن من كان يتكلم من الحنابلة في الرد على أهل البدع فبلسان الأشعرية يتكلم، ومن حقق منهم في الأصول في مسألة فمن الأشعرية يتعلم، وأنهم لم يزالوا كذلك حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر بن القشيري (ت ٥١٤هـ) [٢].

ويؤكد الإمام تاج الدين السبكي ت ٧٧١هـ أن عقيدة الأشعري اجتمع عليها الشافعية، والمالكية، وفضلاء الحنابلة، ويذهب إلى أن أكثر فضلاء متقدمي الحنابلة كانوا أشاعرة، ولم يخرج منهم أحد عن عقيدة الأشعري إلا من لحق منهم بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم [٣].

ولا يخفى أن كلام الإمام السبكي هذا يكون صحيحًا إذا فهم على أنهم كانوا موافقين للأشعري، لا أنهم كانوا ينتسبون إليه.

وفتنة ابن القشيري التي حولت الأشاعرة والحنابلة من الوفاق إلى الاختلاف تتلخص في أنه في شوال سنة ٤٦٩هـ قدم بغداد أبو نصر بن القشيري الأشعري ؛للتدريس في المدرسة

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود (رحمه الله): القسم الأول: صـ٨١، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٨٩م.

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم هبة الله بن عساكر: صـ١٦٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن السبكي: ٣/ ٣٦٥، ٣٧٨.

النظامية، وأخذ يذم الحنابلة في دروسه، وينسبهم إلى التجسيم، ويتكلم عن الأشاعرة، ويمدحهم، فلما سمع بذلك شيخ الحنابلة الشريف أبو جعفر ت ٤٧٠ هـ، تألم لذلك، وأنكر على ابن القشيري صنيعه بشدة وحدة، ثم جند جماعة من أصحابه بمسجده؛ تحسبًا لرد فعل الأشعرية الذين التفوا حول ابن القشيري ،وتعاطفوا معه، ثم هاجم بعضهم مسجد الشريف، فتلقاهم الحنابلة بالحجارة، ثم اشتبك الفريقان في فتنة لم تشهد مثلها قبل بغداد بين فريقي أهل السنة، وقد قتل في هذه الفتنة نحو عشرين شخصًا من الجانبين، وجرح آخرون[١].

والذي يظهر أن الاختلاف بين المدرستين كان أسبق من هذه الوقعة، ولكنه كان يستعلن أحيانًا، ويختفي أحيانًا أخرى، حتى كانت وقعة ابن القشيري التي أظهرت الخلاف، وأوسعت شقته، حتى أرخ بها ابن عساكر للاختلاف بين المدرستين [٢]، وكذلك السبكي [٣]، وابن تيمية [٤]، ويدل على ذلك: أنه لما ألف القاضي أبو يعلى ابن الفراء الحنبلي ت ٤٥٨ هـ كتاب إبطال التأويلات ردًا على القاضي أبي بكر بن فورك الأشعري ت ٤٠٦ هـ، الذي كان يؤول صفات الله – تعالى – في كتبه، احتج الأشاعرة على أبي يعلى، واتهموه بالتجسيم والتشبيه، وكان ذلك في سنة ٤٢١ هـ.

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج بن الجوزي: (١٦/ ٨١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م البداية والنهاية للحافظ عماد الدين ابن كثير: (١٦/ ٥٩)، دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، د/ خالد كبير علال، صـ٢١، دار الإمام مالك، الجزائر، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٢) تبيين كذب المفتري: صـ١٦٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٤/ ٢٣٤.

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٤/ ١٧)، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

وفي سنة ٤٦١ هـ جلس أحد الأشاعرة بجامع المنصور ببغداد وعرض بالحنابلة، واتهمهم بالتشبيه، فقام إليه أحد الحنابلة، وأنزله من على كرسي التدريس، وأجلس مكانه مدرسًا حنبليًا، وقبل ذلك في سنة ٤٤٧ هـ اعترض الحنابلة على الأشاعرة، واستنصروا عليهم حتى ألزموهم البيوت، ومنع بعضهم من حضور الجمعة والجماعات [١].

وقد ساعد التعصب من الجانبين، وكذلك الوعظ والمدارس الطائفية على توسيع دائرة الخلاف بين المدرستين، والذي كانت مظاهره تتجلى من حين لآخر في الاتهامات الموجهة من الطرفين لبعضهما الآخر، بل وصل الأمر إلى التكفير والتضليل، وأحيانًا إلى التشاجر والاقتتال [٢] ،ولعل سبب الخلاف الرئيسي بين المدرستين هو الاختلاف في مسألة صفات الله – تعالى –، وما يتصل بها من مسائل [٣]، مثل مسألة الصفات الخبرية وموقعها من التأويل أو التفويض، ومسألة كلام الله – تعالى – ومنزله من الحدوث أو القدم والحرف والصوت، وغير ذلك من مسائل فرعية ليست من أصول الاعتقاد في شيء.

وقد كان عامل الزمن كفيلًا لأن يطوي صفحة الخلاف بين المدرستين، ولكن لأمر ما تحرك بواعث الخلاف من حين لآخر، وإننا لا ننكر الاختلاف، ولكن نرفض أن يتطور، وتتعمق أخاديده، حتى يسيطر على الشخص ويمتلك حواسه إلى درجة ينسى معها المعاني الجامعة، والصعيد المشترك الذي يلتقي حوله المسلمون، ويعدم صاحبه الإبصار إلى المواطن التي تختلف فيها وجهات النظر، وتغيب عنه أبجديات الخلق الإسلامي،

(١) الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث: صـ١٨ وما بعدها.

(٢) تبيين كذب المفتري: صـ١٦٣، ٤١٣، طبقات الشافعية الكبرى: (٣/ ٣٧٨)، دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد لأبي بكر الحصني: صـ٧٠، دار المصطفى الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث: صـ٤٢ – ١٦٣.

(٣) الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث: صـ١٥٤.

فتضطرب الموازين، وينقلب عنده الظني إلى قطعي، والمتشابه إلى محكم، وخفي الدلالة إلى واضح الدلالة، والعام إلى الخاص، وتستهوي النفوس العليلة مواطن الخلاف، حتى تسقط في هاوية تكفير المسلمين، وربما تفضيل غيرهم من المشركين عليهم!!! [١].

ولقد أحس عدد من علماء الأمة بخطورة الاختلاف بين هاتين المدرستين الكبيرتين من مدارس أهل السنة (مدرسة الأشاعرة والحنابلة)، فعملوا على التوفيق والتقريب بينهما؛ جمعًا للكلمة ورأبًا للصدع، وحاولوا جاهدين إيجاد قاسم مشترك في القضايا الخلافية بين المدرستين، أو بعضها، يقرب المسافات، كما حاولوا وضع قواعد تكون نبراسًا لمن أراد أن يسير في طريق التقريب بين هاتين المدرستين، وغير ذلك مما سيجده القارئ الكريم في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

(١) استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية: صـ٢٥.

المبحث الثالث

محاولات للتقريب بين الحنابلة والأشاعرة

المحاولة الأولى: للإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني الشافعي الأشعري ت ١١٠١هـ:

كان الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين، الكوراني، المدني، الشهراني، الشهرزوري، الشافعي، الأشعري، الصوفي ،النقشبندي، الملقب بأبي الوقت، صاحب التصانيف الكثيرة في علوم عدة، ولاسيما التصوف وعلم الكلام، المولود في شوال ١٠٢٥ هـ، والمتوفى في جمادى الآخرة ١١٠١ هـ [(١)]، كان كغيره من علماء الأمة الصادقين يؤلمه اختلاف مدرستي الأشاعرة والحنابلة بصورة تخيل للناظر في الوهلة الأولى أن كلا الفريقين في شق، ولا يمكن أن يلتقي مع الآخر، مع أن الأمر ليس كذلك، كما كان يزيده ألمًا تبادل الفريقين الاتهام والرمي بالتضليل، ولذلك حاول وضع قواعد يمكن من خلالها تقريب الفريقين، وتحسين صورة كلٍ في نظر الآخر، كما تعرض لأهم مسائل الخلاف بينهما بالمعالجة؛ لإثبات إمكان التقريب، وإرجاعه إلى نقطة يمكن حولها الالتقاء، ويتضح ذلك من الآتي:

---

(١) ترجمته في: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبد الرحمن المدني الأنصاري: صـ٤٥٦، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل محمد خليل الحسيني: (١/ ٥٥)، دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي: (١/ ١١٧)، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني؛ (١/ ١١)، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، الأعلام لخير الدين الزركلي: (١/ ٣٥)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، معجم المؤلفين لرضا كحالة: (١/ ٢٢)، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ.

أولاً: أسباب الاختلاف في نظر الكوراني:

يرجع برهان الدين الكوراني التباعد بين مدرستي الحنابلة والأشاعرة إلى أمرين:

الأول منهما: هو التعصب الفاسد، والثاني: ترك صريح الألفاظ والأخذ بلازم الأقوال، التي لا يقول بها المخالف، فالتعصبات الفاسدة هي التي أوقعت الفريقين فيما وقعوا فيه، والعجب ممن يترك صريح اللفظ، ويأخذ بلازم القول الذي لا يقول به المخالف، ولا يسلم لزومه لقوله [١].

ولا ريب أن التعصب باب عظيم تدخل منه الشياطين إلى قلوب بني آدم؛ لإفساد ما بينهم، وأنه مانع من إدراك الحقائق، كما أنه يزيد في دواعي الضلال، ويهيج بواعث التمادي والإصرار، ولاسيما إذا صاحبه النظر إلى الخصوم بعين الاحتقار، فإن ذلك يثير دواعي المعاندة والمخالفة، ويرسخ في النفوس الاعتقادات والآراء الباطلة [٢].

كما أن التعصب من آفات علماء السوء، يتخذونه عادة وإلهًا، ويسمون ذلك دفاعًا عن الدين، ونضالاً عن المسلمين، وهو في الحقيقة هلاك العباد، وفساد البلاد، ومن أعظم آفات التعصب: ما ينشأ عنه من التفرق والتعادي، حتى صار القريب يبغض قريبه إذا وجده مخالفًا له في رأيه، ويلصق به كل تهمة حتى لو أقام البراهين على صحة قوله، غير مبالٍ في ذلك بما يحظره الإسلام من كل ما يولد الشحناء والبغضاء، ويفكك عرى الإخاء، ولا ملام على العامة في ذلك بقدر لوم قادة الأفكار، ولولا ذلك لكانت الأمة متماسكة الأجزاء، متينة عرى المحبة والإخاء، بدلاً من أن تصبح أعداء متشاكسة، وأحزابًا متنافرة؛ بشؤم التعصب الذميم،

(١) الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي (تلميذ الكوراني الذي ينقل قول شيخه في هذه القضية مع الإطالة والإسهاب): (١/ ٥٧٢، ٥٧٣)، ت/ د سعيد الفاضلي، ود/ سليمان القرشي، دار السويد، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٦م.

(٢) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي: (١/ ٤٠)، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام الغزالي: صـ١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الذي لم يتمكن من أمة إلا ذهب بها مذهب التفرق والانحطاط، وأضعف قواها، وأحاطت بها الخطوب والأرزاء [١].

وأما الأخذ بلازم القول دون صريحه فهو خطأ فادح، فمن المنطقي أن يحاسب الإنسان على قوله، ويناقش فيه بكل دقة وأناة، لكن من غير المنطقي أن تبنى الخلافات على لوازم الآراء، ثم يترتب على ذلك التباعد والاتهام مع أن صاحب الرأي قد لا يقبل تلك الملازمة، فلا يليق بنا أن ننسب للآخرين ما لم يلتزموا به [٢].

ولقد حذر العلماء من أن نسلك هذا الطريق في معاملاتنا مع المخالفين، يقول تاج الدين السبكي ت (٧٧١هـ): (واعلموا رحمكم الله أن ما يلزم الخصم بدعواه، فلا يجوز أن ينسب ذلك إليه، بأن يقال: هذا مذهب فلان، بناء على أصله ومقتضى قوله) [٣].

ويقول أبو سالم العياشي (تلميذ الكوراني ت ١٠٩٠ هـ): «الصحيح: أن لازم المذهب ليس بمذهب، وأنه لا كفر بمجرد اللزوم، إذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم، ولا أن اللازم كفر)[٤].

ولأجل أخذ الفريقين بلازم الأقوال، كانت بينهما اتهامات زائفة، بناءً على هذا الأصل الزائف - في نظر- الكوراني -، فالأشاعرة يتهمون الحنابلة بأنهم مجسمة، ومشبهة، والحنابلة يتهمون الأشاعرة بأنهم نفاة ومعطلة، وهذه الاتهامات في نظر الكوراني إنما حملت

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي: صـ٩٥-٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) التقريب بين المذاهب الإسلامية (أسسه وقيمه، ودور العلماء فيه)، محمد علي التسخيري، مجلة أمة الإسلام، السودان، العدد (٦)، صـ٢٨، ٢٠١٠م.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: (٣/ ٤١٣).

(٤) الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف لأبي سالم العياشي: (٢/ ٤٢٥)، ت/ د عبد العظيم صغيري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

على المخالف أخذًا من لازم القول، مع أن كلا الفريقين في صريح أقواله ما يؤكد أنه لا يقول بذلك الاتهام [١]، وسيأتي بيان ذلك أثناء معالجة الكوراني العملية لبعض قضايا الخلاف بين الفريقين، ويؤكد الكوراني على أن كثيرًا مما ينسبه الفريقان لبعضهم البعض إنما هو مجرد شبه خيالية بعيدة عن حقيقة الأمر، تحتاج إلى الإنصاف والإتصاف بسلامة الفطرة؛ حتى يرفع الخلاف [٢].

ثانيًا: قواعد التقريب عند الإمام الكوراني:

ذكر برهان الدين الكوراني - أثناء معالجة بعض القضايا الخلافية بين الأشاعرة والحنابلة - عددًا من الأمور التي يمكن أن تتخذ قواعد للتقريب بين المدرستين وغيرهم من المدارس، وهذه القواعد هي:

١-أن نأخذ آراء المخالفين من كلامهم وكتبهم، لا من كلام غيرهم عنهم، وأن نتحرى في البحث عن آرائهم، قبل إصدار الأحكام عليهم:

ولذلك كتب الشيخ الكوراني - عند بحثه في المسائل الخلافية بين الحنابلة والأشاعرة، والتي تبادلوا بسببها الاتهامات والرمي بالتضليل - إلى الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلي الدمشقي ت (١١٢٦هـ) كبير الحنابلة، وإمامهم علمًا وعملاً وصلاحًا بدمشق؛ ليكتب له بمعتقد الحنابلة، محررًا بالأدلة؛ حتى لا ينسب إليهم قولاً لا يقولون به، وأخذ في الفحص في كتب الحنابلة ورسائلهم، حتى ظفر من ذلك بما تأكد منه أنه معتقد الحنابلة، الذي به يدينون، وعليه يبنون طريقتهم في الاعتقاد [٣].

---

(١) الرحلة العياشية: (١/ ٥٧١-٥٧٣).

(٢) إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام لبرهان الدين الكوراني: صـ٧٣، دار الذخائر، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

(٣) الرحلة العياشية: (١/ ٥٧٠).

وإن هذا الأمر الذي نبه عليه الكوراني لمن الأهمية بمكان؛ ذلك لأن أهم عوامل التباعد بين مدارس أهل السنة هو الجهل المتبادل، وعدم الانفتاح الفكري فيما بينهم، حيث يحتفظ كل طرف لنفسه بانطباع وموقف سلبي تجاه الطرف الآخر، دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتأكد من صحة انطباعه وموقفه، وكأنه ليس مسئولاً أمام الله، أو غير مدرك لما ينتجه هذا الموقف من أخطار، وتبعات على وحدة الأمة، وتماسك صفوفها [١].

٢- تحقيق الأقوال والجمع بين المتفرقات مع حسن الفهم:

فالاتهام بين الفريقين إنما ينسب بناءً على سوء الفهم، أو بسبب عدم الجمع بين الكلام المتفرق للمخالف؛ حتى تكتمل الصورة، فالاقتصار على قول واحد للمخالف في بعض كتبه دون الجمع بين المتفرقات سبب لأن ينسب للمرء ما لم يقله، ذلك لأن علماء الفريقين محكم كلامهم يحكم على متشابهه، ومطلقه يرد إلى مقيده، ومجمله يرد إلى مبينه، ومبهمه إلى صريحه [٢].

٣ - أن نحمل كلام المخالف على محمل حسن ما أمكن ذلك مع تحسين الظن:

يلفت الكوراني أنظارنا إلى أمر يقرب المسافات بين المتخالفين، وهو أن نحاول حمل كلامهم على محمل في الخير، وأن نضع أمرهم على أحسنه، ولاسيما إذا علم أن كل مجتهد إذا رزقه الله حسن القصد، وكان اجتهاده في نصر السنة فهو مأجور أصاب أو أخطأ، وإن تفاوتت مراتب الأجر [٣].

---

(١) التعددية والحرية في الإسلام، حسن بن موسى الصفار: صـ٢٦٩، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ٤، ٢٠١٠م.

(٢) إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام: صـ٢٥٦، ٢٥٧، الرحلة العياشية: صـ١/ ٥٧٣.

(٣) إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام: صـ٢٥٦.

ولا يصل المرء إلى حرصه على حمل كلام مخالفه على محمل حسن إلا إذا حركه حسن الظن بالمسلمين، ولذلك يقرر الكوراني عند حديثه عمن نسب التجسيم إلى الحنابلة، بأن الذين نسبوا إليهم ذلك جماعة من أكابر العلماء، وأن الظن بهم أنهم ما قالوا ذلك إلا بعد الاطلاع على ما أوجب ذلك من كلام الحنابلة، وأنهم لم يحملهم على ذلك عصبية، بل ما قصدوا إلا الانتصار للحق، والنصرة للدين، وإماطة الأذى عن طريق عقائد المسلمين بمبلغ علمهم، وأنهم لم يطلعوا على صريح كلام الحنابلة الحاكم بنفي التجسيم [١].

فما أحسن أن يتعمق المرء في كلام مخالفه إلى غاية ما يحتمل، فإنه بذلك يفتح له باب قصده، قبل أن يحكم عليه، وأن يكون تحسين الظن هو الغالب على حاله، وأحسن به إذ رأى حسنة وسيئة أن ينشر الحسنة، ويطلب المعاذير للسيئة، ولا يكن كالذباب ينزل على أقذر ما يجد، ولا يتعجل على أحد بالتخطئة، ولا يبادر بالتجهيل، وإذا عرض له في كلام مخالفه من المسلمين إشكال يؤذن في الظاهر بمحال، فليسكت، وليكل الأمر فيه إلى الله [٢].

ثالثًا: التقريب العملي عند الإمام الكوراني:

تناول الكوراني قضيتين من أهم القضايا الخلافية بين مدرستي الأشاعرة والحنابلة، محاولاً إثبات إمكانية التقارب بين رأي المدرستين فيهما، وهاتان القضيتان هما:

- قضية النصوص الموهمة للتشبيه:

تعتبر قضية النصوص الموهمة للتشبيه من أهم القضايا الخلافية بين مدرستي الأشاعرة والحنابلة، والتي يتخذها بعض الأشاعرة أساسًا للحكم على الحنابلة بالتجسيم والتشبيه؛ حيث اختاروا إثبات صفات لله - تعالى - من تلك النصوص، وحملوها على

(١) إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام: صـ٢٥٤ وما بعدها.

(٢) الحكم بالعدل والإنصاف: ٢/ ٤٩٨.

حقيقتها مع تفويض كيفيتها إلى الله – تعالى –، كما اتخذها بعض الحنابلة مرتكزًا لاتهام الأشاعرة بنفي الصفات وتعطيلها؛ لأن معظمهم اختار تأويل تلك النصوص وفق ضوابط وقواعد حاكمة.

وقد تناول برهان الدين الكوراني تلك القضية محاولًا تصويب رأي الفريقين، ورد الاتهام المتبادل بطريقة تجعل المدرستين في دائرة الوفاق، وتجعل اختلاف الرأي في تلك القضية نوعًا من الثراء الفكري، وتتضح محاولة الكوراني في النقاط الآتية:

١ – التأكيد على أن كلا الرأيين صواب وكلا الفريقين على حق:

فالكل على هدى إن شاء الله؛ لأن المفوض مسلم لمراد الله، تارك ما لم يكلف بعلمه، والمتأول متبع لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة، حامل عليه ما لم يتضح معناه؛ حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحد، ولا يسرع إلى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب فيثبته، فالتأويل لأجل هذا حسن؛ لأنه حراسة عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده، فإذا سمع قاصر الفهم استوى لم يتبادر إلى فهمه إلا المعنى المستحيل، فإذا سمع قول العالم: معناه استولى عليه بالقهر والغلبة زالت تلك الشبهة من قلبه [(١)].

فكان التأويل المنضبط بالقواعد – في رأي الكوراني– أمرًا لابد منه في حق بعض الناس، فكأنه دواء لابد من توفره لعلاج بعض الأمراض الطارئة، وقد أوضح ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) هذا الأمر أوضح بيان، فإن العلماء إذا وجدوا من يقول بالتجسيم ،أو التكييف من المشبهة ، أو المجسمة، ولقوا من يصف الباري بصفات المحدثات، فحينئذ يسلكون طريق التأويل، ويثبتون تنزيهه بأوضح دليل، ويبالغون في إثبات التقديس له؛ خوفًا من وقوع من لا يعلم في ظلمة التشبيه، فإذا أمنوا من ذلك رأوا أن السكوت أسلم، وترك الخوض في التأويل

(١) الرحلة العياشية: (١/ ٥٧٢).

إلا عند الحاجة أحزم، وما مثالهم في ذلك إلا مثل الطبيب الحاذق الذي يداوي كل داء بالدواء الموافق [١].

٢-النظر إلى مقصد الفريقين:

لا ريب أن من نظر إلى قصد الفريقين في تلك القضية تبين له مدى التقارب بينهما، فمقصد المؤولين تنزيه الحق عما لا يليق بجنابه؛ بناء على ظنهم انحصار الحقائق اللغوية لتلك النصوص فيما هو من نعوت المخلوقين، ومقصد المفوضين، هو التنزيه مع عدم صرف النصوص عن ظواهرها، فالفريقان يلتقيان في دائرة التنزيه [٢]، ولا شك أن الالتفاف حول دائرة التنزيه هو المهم في العقيدة.

٣- رد اتهام الحنابلة بالتجسيم والتشبيه:

بعد إمعان الكوراني النظر في كتب الحنابلة ورسائلهم وجدهم برآء من كثير مما يرميهم به الأشاعرة من التجسيم والتشبيه، فالقوم متمسكون بمذاهب كبراء المحدثين، من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها، والإيمان بها كذلك، مفوضون فيما أشكل معناه، والمتشابهات المثبتة لله - تعالى - ليس معانيها الحقيقية منحصرة في نعوت المخلوقين، بل هي موضوعة لمعان كلية، لها أفراد مختلفة الحقائق، فنختلف حقائقها باختلاف المنسوب إليه، فإذا نسبت إلى المخلوقات كانت بحسب ما يليق بالمخلوقات من الجواهر والأعراض، وإذا نسبت إلى الله كانت منزهة تنزيه المنسوب إليه، ومعلوم أن المنسوب إليه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكذلك المتشابهات المنسوبة إليه [٣].

(١) تبيين كذب المفتري: صـ٣٨٨.

(٢) إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام: صـ٢٧٧.

(٣) إفاضة العلام: صـ٢٢٧، الرحلة العياشية: (١/ ٥٧١).

فإذا قلت: زيد فوق السرير، فمعناه مستقر عليه، متمكن منه، وإذا علم أن زيدًا جرم من الأجرام، والسرير كذلك تحقق أن الفوقية في حقه توجب المماسة والتحيز في جهة من جهاته، وغير ذلك من الأوصاف التي يوجبها استقرار جرم على جرم، وأما المولى - جل جلاله -، فماهية ذاته غير مدركة لأحد من الخلق، فكيف تقول: إن استقراره فوق العرش يوجب مماسته له، وتحيزه في جهة؛ لأن ذلك لازم استقرار الجسم، وأما استقرار من ليس بجسم فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا، حتى نعلم ماهيته، والماهية غير معلومة، فنثبت له استقرارًا حقيقيًا فوق عرشه، بلا مماسة؛ لاستحالتها من المستقر، وإن جازت في المستَقَر عليه، وكذلك يقولون في سائر النصوص، ولا يأخذ الكوراني على الحنابلة أمرًا في هذه المسألة غير تشددهم في رد التأويل، وذمهم من يقول به، وتجهيلهم إياه [1].

٤- وكما رد الكوراني اتهام الحنابلة بالتشبيه والتجسيم رد اتهام الأشعرية بأنهم نفاة في هذا الباب، وذلك في رده على بعض متعصبي الحنابلة الذي قال في الأشاعرة: إنهم تكلفوا في كلام الله ورسوله، وتنطعوا في فهمه، ولم يتلقوه بالقبول كما فعل من أخلص في إيمانه من السلف الصالح، حتى وقعوا فيما وقع فيه من قبلنا من الأمم، فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع، فاليهود أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون، وقالوا: حنطة، فزادوا النون تنطعًا وتقولاً على الله ما لم يقله، والأشعرية كذلك، قال الله - تعالى -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فتنطعوا وقالوا: استولى، فزادوا اللام تنطعًا.

يقول الكوراني: ولقد أساء - سامحه الله - الخطاب، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب؛ فإن الأشعرية - رضي الله عنهم - لم يجحدوا استوى، ولم يمتنعوا من قوله، بل

(١) الرحلة العياشية: (١/ ٥٧١).

قالوا: استوى، وبه يقرون ويتقربون إلى الله – تعالى –، ولكن بعضهم أول المعنى؛ لما رأى الظاهر منه محالاً على الله – تعالى –، فقال: معنى استوى استولى؛ لورود اللفظ بهذا المعنى في لغة العرب [١].

وأقول: ما يقال في استوى يقال في غيره من النصوص التي أولها الأشاعرة، فإنهم لم يمتنعوا من قولها، بل بما جاءت به النصوص يقرون، ويتقربون إلى الله بما جاء فيها، لكنهم لما رأوا أن الظاهر محال على الله – تعالى – حملوه على معنى لا ينافي الجلال والكمال، وهو وارد من لغة العرب.

٥- وينبه الكوراني على أمر مهم من شأنه أن يضيق الفجوة هنا، وهو أن الأشعرية لا يذمون التفويض ولا يرفضونه، كما أنهم لم يقولوا: إنه ليس للآية أو الحديث معنى إلا هذا، بل يقولون: يحتمل أن يكون معناه هذا، وهذا صدق؛ لأنه محتمل [٢].

- قضية كلام الله تعالى ومحاولة الكوراني التقريب فيها بين المدرستين:

لا خلاف بين الأشاعرة والحنابلة في إثبات الكلام لله تعالى، وإنما الخلاف في معنى كلامه، فعند الأشاعرة كلام الله تعالى ليس من جنس الحروف والأصوات، بل هو معنى وراء ذلك، وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ، وهو صفة أزلية قائمة بذاته – تعالى –، منافية للسكوت والآفة، يدل عليها بالعبارة أو الكتابة أو الإشارة، إذا عبر عنها بالعربية فقرآن، وبالسريانية فإنجيل، وبالعبرانية فتوراة [٣].

---

(١) الرحلة العياشية: (١/ ٥٧٢).

(٢) الرحلة العياشية: (١/ ٥٧، ٥٧٣).

(٣) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني: (٣/ ١٠٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، شرح المواقف للشريف الجرجاني: (٣/ ١٣٢)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، =

وعند الحنابلة: أن الله – تعالى – متكلم بحروف وأصوات قديمة، قائمة بذاته -تعالى، وأن المسموع من أصوات القراء نفس الكلام القديم [١].

ويشتد إنكار الحنابلة على الأشاعرة؛ لقولهم بالكلام النفسي، فالحنابلة لا يعتقدون ثبوته، بل ينفونه، ويرونه من أعظم الباطل؛ لأن الكلام عندهم اسم للفظ والمعنى جميعًا، كما اشتد إنكارهم لقول الأشاعرة: إن المسموع والمكتوب والمتلو حادث وليس بقديم[٢]، ولذلك غلوا في هذا الأمر حتى حكموا بأن المسموع والمكتوب والمتلو هو نفس الكلام القديم[٣].

وهذا ما حاول الإمام الكوراني معالجته في كتابه الذي ألفه بخصوص الخلاف بين المدرستين في هذه القضية وسماه (إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام)، وتتلخص محاولة الكوراني في الآتي:

أولاً: إثبات الكلام النفسي من نصوص الكتاب والسنة:

أكثر الإمام الكوراني من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة، والتي تثبت الكلام النفسي الذي ينكره الحنابلة، ومن هذه الأدلة:

١-قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾

شرح جوهرة التوحيد لبرهان الدين البيجوري: صـ١١٣، مطبعة القدس، الدراسة، ط٢، ٢٠١١م.

(١) الاعتقاد لابن أبي يعلى الحنبلي: صـ٢٤، دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس، صـ١٥٤، دار الهجرة، السعودية، ط٣، ١٤١٥هـ.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين السفاريني الحنبلي: (١/ ١٦٥)، مكتبة الخافقين، دمشق، ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٩م، شرح العقيدة الواسطية للهراس: صـ١٥١.

(٣) فتح الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محمد بن محسن صـ٩٠، دار المؤيد، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. شرح العقيدة الواسطية: صـ١٥٤.

[البقرة: ٢٣٥]، فخطبة النساء إن عرض بها الخاطب كانت كلامًا لفظيًا، وإن أكنها في نفسه كانت كلامًا نفسيًا، وحيث أطلق الله الخطبة التي هي نوع من الكلام على ما أكنوه في أنفسهم، مع أنه لا صوت في النفس محسوس، فقد دل ذلك على أن الكلام حقيقة ليس مختصًا بحروف تعرض للأصوات، بل هو أعم، والأصل في الإطلاق الحقيقة، فلا يعدل عنه لا لصارف وهو منتف هنا [١].

٢-قوله – تعالى -: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ﴾ [يوسف: ٧٧]، فقوله – تعالى -: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ﴾ جواب عن سؤال تقديره: ماذا قال في نفسه في ذلك الإسرار؟، فالجواب: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ﴾، فهذه الجملة كلمات مخيلة في النفس مرتبة ترتيبًا خياليًا، وليست عارضة لصوت محسوس، وهذا هو الكلام النفسي [٢].

٣-قال – تعالى -: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فلما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة، وقالوا: يا رسول الله: إنا لنحدث أنفسنا بشيء ما يسرنا أن يطلع عليه أحد من الخلائق، وأن لنا كذا، وكذا [٣]، فلولا إجماع الصحابة مع النبي ﷺ على ثبوت الكلام النفسي لما اشتد الأمر عليهم عند نزول الآية الكريمة [٤].

٤-ما جاء في الحديث القدسي من قوله – تعالى -: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا

---

(١) إفاضة العلام: صـ٩٥.

(٢) إفاضة العلام: صـ٨٨.

(٣) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب/ بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، رقم (١٩٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، سنن الترمذي، ك: أبواب تفسير القرآن، ب/ ومن سورة البقرة، رقم (٢٩٩٠)، التفسير من سنن سعيد بن منصور لأبي عثمان سعيد بن منصور: (٣/ ١٠٠٥)، دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) إفاضة العلوم: صـ١٠٠ – ١٠٣.

ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» [(١)]، يقول الكوراني: «هذا الحديث يدل على أن للعبد كلامًا نفسيًا، وأن لله كلامًا نفسيًا، ولكنه في حق الله – سبحانه – بوجه آخر غير الوجه الذي في العبد؛ فإنه – سبحانه – ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، في ذاته وصفاته[(٢)].

٥- ما روى من قول عمر بن الخطاب ﷺ يوم السقيفة: (فلما سكت – أي خطيب الأنصار– أردت أن أتكلم، وكنت زورت في نفسي مقالة أعجبتني، إلى أن قال: فتكلم أبو بكر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال مثلها، أو أفضل منها» [(٣)].

يقول الكوراني: فإنه ﷺ سمى الألفاظ المخيلة المرتبة في الذهن مقالة، وسمى كل جزء من أجزائها المخيلة التي أعجبته كلمة، مع أنها ليست لفظًا حقيقيًا، والأصل في الإطلاق الحقيقة، فلا يعدل عنه إلا لصارف، فالكلام الحقيقي ليس مختصًا باللفظي، بل يعم اللفظي والنفسي، وهو المطلوب [(٤)].

ثم بيَّن الكوراني بعد أن ساق أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تؤكد إثبات الكلام النفسي–أن الله – تعالى – أمرنا عند التنازع في شيء أن نرده إلى الله – تعالى –، وإلى الرسول، قال – تعالى: ﴿... فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقد وقع التنازع المتجاذب في هذه المسألة، وقد رددناه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فرأينا أن الكتاب والسنة يدلان على ثبوت الكلام النفسي لله – تعالى – كالكلام اللفظي، وهو الذي

(١) صحيح مسلم ك/ الذكر والدعاء، ب/ الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٥).

(٢) إفاضة العلام: صـ١٠٩.

(٣) صحيح البخاري، ك/ الحدود، ب/ رجم الحبلى، رقم (٦٨٣٠)، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٤) إفاضة العلام: صـ٩٧.

عليه الصحابة أجمعون والسلف الصالح والأئمة الأربعة، فنحن نتبعهم في ذلك، ونرمي بقول كل من خالف [١].

ثانيًا: إثبات أن الحنابلة يقولون بالكلام النفسي من حيث لا يشعرون:

يؤكد الكوراني أن الحنابلة ينكرون الكلام النفسي، وكثيرًا منهم يتصدى للرد على القائلين به، مع أن أكثر من تصدى لذلك يتضمن كلامه الاعتراف بالكلام النفسي من حيث لا يشعر، والأدلة على ذلك من كلام كبار الحنابلة:

١- قول الموفق ابن قدامة ت (٦٢٠هـ) في باب الصوم: (يجب تعيين النية لكل صوم، وهو أن يعتقد أنه صائم غدًا. والنية عزم جازم) [٢]، وبين الكوراني وجه الدلالة من كلام ابن قدامة على إثبات الكلام النفسي بأن محل النية القلب، والاعتقاد، فعل القلب، ومعنى ذلك: أن يعزم عزمًا جازمًا على أنه صائم غدًا، ولا شك أن المعزوم عليه والمجزوم به قوله في نفسه: إنه صائم غدًا، وهذا هو الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة [٣].

٢-قول ابن مفلح الحنبلي ت (٧٦٣هـ) في المريض: (وإن عجز أومأ بطرفه، ناويًا مستحضرًا الفعل، والقول) [٤]

ويعقب الكوراني على ذلك بأنه لا يخفى أن القول باستحضار أقوال الصلاة من الفاتحة، وغيرها بقلبه عند عجزه عنها بلسانه، أو خوفه عين القول بالكلام النفسي للإنسان، وعين القول بأن الفاتحة المستحضرة قرآن حقيقة، وهذا يبين أن الكلام ليس مختصًا عند

(١) إفاضة العلام: صـ١٤٦- ١٥٠.

(٢) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد لموفق الدين ابن قدامة: (١/ ٤٣٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٣) إفاضة العلام: صـ١٤٠.

(٤) ينظر: الفروع لابن مفلح الحنبلي: (٣/ ٦٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الحنابلة بالحرف والصوت كما يقول المرداوي الحنبلي ت (٨٨٥هـ): (ومذهب أحمد وأصحابه: أن الكلام هو الأصوات والحروف، والمعنى النفسي لا يسمى كلامًا [١].

٣-قول ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ) في تعريف الروح: الصواب في المسألة: أنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، فهي جسم لطيف نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ من جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، ويفيدها هذه الآثار من الحس، والحركة الإرادية) [٢].

ويعقب الكوراني على قول ابن القيم بأنه إذا قال: إن هذه الآثار المشهودة من الجسم من الحس والحركة كلها من إفادة الروح، ولا شك أن من آثارها الكلام اللفظي، فكيف ينكر الكلام النفسي مع اعترافه ضمنا بأن اللفظي من آثار الروح؛ لأن الروح لا تفيد ما ليس عندها، وهل الآثار الظاهرة إلا صور الآثار الباطنة [٣]؟

٤- يخاطب الكوراني كل حنبلي ينكر الكلام النفسي، ويشنع بذلك على الأشاعرة بأنه قد صح عندك أن رسول الله ﷺ أخبر أن الله متكلم بحرف وصوت[٤]، وهذا القدر يكفي لإثبات الكلام النفسي؛ لأن الله - تعالى - لا يتكلم بالوحي بحرف وصوت إلا على طبق ما في علمه؛ لامتناع خلاف الصدق أو خلاف العلم عليه، وقد أنزل الله - تعالى - الكتب الإلهية التي منها القرآن على هذا النظم المشهود بين الدفتين، فهو هكذا في علمه قبل أن ينزله، وقبل

(١) إفاضة العلام: صـ١٤٢، وينظر كلام المرداوي في: أصول الفقه لابن مفلح الحنبلي: (٢/ ٦٤٣)، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: الروح لابن قيم الجوزية: صـ١٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) إفاضة العلام: صـ١٩٩.

(٤) ينظر: صحيح البخاري: ك/ التوحيد، ب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ رقم (٧٤٨٠).

أن يتكلم به، وهذا الذي نعنيه بالكلام النفسي [١]، وينهى الكوراني هذه المساجلة- بعد أن أكثر من النقول عن أئمة الحنابلة القائلين بالكلام النفسي في معنى كلامهم والمنكرين له بألفاظهم [٢]- بإثبات أن الكلام النفسي الذي يقول به الأشعري لم ينفرد به، بل هو قول أئمة أهل السنة إذا انكشف الغطاء عن وجه المرام [٣]، وكأن لسان حال الإمام الكوراني يخاطب الحنابلة أن خففوا الحدة من تلك القضية على إخوانكم الأشاعرة، ولاسيما بعد بيان أن القرآن والسنة ، وكلام كبار أئمة المسلمين، كل ذلك ناطق بما تشنعون به على إخوانكم الأشاعرة..

ثالثًا: بيان أن قول الحنابلة: إن المسموع والمتلو قديم لم يقله أحمد بن حنبل ت (٢٤٢هـ)، وإنما فهموا كلامه على وجه الخطأ:

فقول الحنابلة: إن الذي يسمع من القارئ هو الصوت القديم، لا يعرف عن السلف ، ولا قاله أحمد ، ولا أصحابه، وإنما نسب ذلك إليه؛ لأن أحمد صح عنه أنه قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي»، فظن أتباعه أنه سوى بين اللفظ والصوت، وهذا خطأ؛ فإن أحمد لم يسو بين اللفظ والصوت، بل صرح أن الصوت المسموع من القارئ هو صوت القارئ، والفرق بين اللفظ والصوت: أن اللفظ يضاف إلى المتكلم به ابتداء، وليس كذلك الصوت، وإنما اشتد إنكار الإمام أحمد على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأنه أراد حسم المادة؛ صونًا للقرآن أن يوصف بكونه مخلوقًا، وإذا حقق الأمر عن الإمام أحمد، أو غيره من الأئمة المحققين فلن يفصح أحد منهم أن حركة لسانه إذا قرأ قديمة [٤].

(١) إفاضة العلام: صـ١٩٦.

(٢) إفاضة العلام: صـ١٣٦ وما بعدها.

(٣) إفاضة العلام: صـ٨٥.

(٤) إفاضة العلام: صـ٧٤.

رابعًا: بيان أن قول الأشاعرة: المسموع والمتلو والمقروء حادث، لا يبتعد كثيرًا عن رأي الحنابلة:

ذلك لأن كلام الله – تعالى – له تعلق تنجيزي – أي بعد وجود المكلف –، وتعلق معنوي تقديري، وهو الذي يكون قبل وجود المكلف [1]، والتعلق التنجيزي صورة للتعلق المعنوي، والتعلق التنجيزي هو الذي يتجدد ويزول، ومن هذه الجهة يوصف الكلام المنزل بأنه حادث، حيث إنه وجد بعد وجود المكلف، ولذلك لا ينكر الأشاعرة حدوث المنزل، أي صور الألفاظ المخيلة والمسموعة والمكتوبة، والحروف والكلمات – عندهم– من مراتب تنزلات الكلام النفسي القديم، ولذلك إذ نسبتها إلى الله تكون النسبة إليه كنسبة حقائقها القديمة، أما صور كلمات المخلوقين، فلا تنسب إلا لله إلا بكونها مخلوقة له – تعالى –، وإن كانت حقائقها قديمة ثابتة في علم الله – تعالى –[2]، وأمَّا تعلق الكلام المعنوي، فهو القديم، وهو الذي يوصف بالقدم [3].

أي أن الكوراني يقرر أن الجهة التي يقول بها الأشاعرة: إن المنزل حادث سواء أكان مسموعًا، أو مكتوبًا، أو متلوًا إنما هي باعتبار أن التنزل إنما كان بعد وجود المكلفين، وهذا أمر يتجه إذ علم أنه لا خطاب يتوجه إلى المكلف قبل وجوده، ولا يعني ذلك أن الأشاعرة يقولون بحدوث كلام الله تعالى، بل يؤكد الكوراني على أن الأشاعرة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو المكتوب في مصاحفنا، والمحفوظ في صدورنا، والمقروء بألسنتنا، والمسموع بآذاننا، وأنه غير حال في شيء مما ذكر [4].

---

(١) التعلق المعنوي هو الذي يسمى بالصلوحي القديم. ينظر: شرح جوهرة التوحيد للبيجوري: صـ١١٣.

(٢) إفاضة العلام: صـ١١١، ١٢٤.

(٣) إفاضة العلام: صـ١١١.

(٤) إفاضة العلام: صـ١١٥.

كما أن الأشـــاعرة يلتقون مع الحنابلة في القول بأن كلام الله قديم، وإن كان ذلك عند الأشـاعرة متوجهًا إلى الكلام النفسـي، وهو أمر لا يمكن الحنابلة إنكاره مع تصـريح الكتاب والســنة وكبار أئمتهم بذلك، أو كان عند الحنابلة متوجهًا للكلام باللفظ والمعنى، فعند التأمل بإنصـاف لا يمكن لعاقل أن يقول: صـوتي بالقرآن قديم، أو سـماعي أو كتابتي، ولكن قد يتحفظ في ذلك؛ صــونًا لجناب القرآن الكريم، وهـذا أمر في نظري. لا ينكره أحد من الأشـاعرة، وبذلك تضـيق الفجوة بين المدرسـتين، وتلتقيان حول إثبات الكلام صـفة لله – تعالى –، وصفات الله قديمة.

والرأي عندي: أنه يكفي المســلم أن يؤمن بأن الله يتكلم، وأن له كلامًا منه القرآن الكريم، والتوراة الحقة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الحق الذي أنزل على عيســى عليه الســلام، وأن كلامه تعالى من صـفاته، وصـفاته قديمة، وأن يسـكت عما وراء ذلك.

المحاولة الثانية: للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي المالكي الأشعري الصوفي ت ١١٣٦هـ:

كانت الحملة - إبان القرن الثاني عشر الهجري في بلاد المغرب العربي - شعواء من بعض الأشاعرة على الشيخ أبي محمد عبد القادر بن عبد الله بن أبي صالح محيى الدين الجيلاني الحنبلي البغدادي الصوفي (مؤسس الطريقة القادرية)، المولود سنة ٤٧١هـ، والمتوفى سنة ٥٦١هـ[(١)]، يطعنون في عقيدته، ويتهمونه بالتشبيه، والتجسيم، والقول بالجهة، وهذا ما دفع أحد أئمة المالكية والصوفية بالمغرب - إذ ذاك - إلى المدافعة عن الشيخ عبد القادر، ومحاولة تخفيف الحدة بين مدرسة الأشاعرة والحنابلة، وذلك الإمام المدافع هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المسناوي ،الدلائي، الفاسي، المقري، المالكي، الأشعري الصوفي، المولود سنة ١٠٧٢هـ، والمتوفى سنة ١١٣٦هـ[(٢)]، وقد جاءت محاولته في كتاب سماه (جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر)، وقد بين في مقدمة كتابه أن الحنابلة قد خالفوا الأشاعرة في أشياء تنحوا منحى التجسيم المستلزم للحدوث في حقه - تعالى - آخذًا بلازم كلامهم لا بصريحه، والشيخ عبد القادر من الحنابلة، ولذلك اتهم بتهمة الحنابلة، فكان لابد من نصرة ذلك الشيخ الكامل، وتنزيه جنابه

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي: (٢/ ٤٣٩- ٤٥٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي: ١٩/ ٢٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، فوات الوفيات لصلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي: (٢/ ٣٧٣) دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م، الإعلام: ٤/ ٤٧، معجم المؤلفين: ٥/ ٣٠٧.

(٢) ترجمته في: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف: (١/ ٤٨١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لابن زيدان السلجماني: (٤/ ٩٢، ١٦٧)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي: (٢/ ٣٣٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، الأعلام: (٦/ ١٣)، معجم المؤلفين: (٨/ ٢٥٩).

عما لا يليق بمن هو دونه بمراحل[١]، وتتضح محاولة المسناوي من خلال ما يلي:

١- مفهوم أهل السنة معنى واسع لا يقتصر على مدرسة بعينها:

يحاول بعض المنتسبين إلى مدرستي الحنابلة والأشاعرة قصر مفهوم أهل السنة عليه ومن وافقه، وإخراج المخالفين له من دائرة أهل السنة [٢]، وهذا والله خطر داهم، وشر مستطير، لا بد من التصدي له بكل ما يستطيعه الصادقون من أبناء هذه الأمة الذي يشعرون بمرارة التفرق والتشرذم، فمن قصر أهل السنة عليه ومن هو على شاكلته، وأخرج جميع من عداهم، فقد ضيق رحمة الله الواسعة، فمفهوم أهل السنة معنى يتسع ليشمل مدارس ثلاثة، ومن كان على رأيهم وعقدهم، وهذا ما أكده المسناوي، فأهل السنة بالاستقراء- ثلاثة طوائف: الأولى: أهل الحديث، ومعتقد مبادئهم: الأدلة السمعية، والثانية: أهل النظر العقلي، وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري ت (٣٢٤هـ)، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي ت (٣٣٣هـ)، والثالثة: أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية، ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث [٣].

وإن هذا الأمر الذي يؤكد عليه الإمام المسناوي؛ لرأب الصدع - أكد عليه عدد كثير من أئمة المدرستين، فمن مدرسة الأشاعرة: عبد القاهر البغدادي ت ٤٢٩ هـ، الذي يؤكد على أن مفهوم أهل السنة يتسع لثمانية أصناف من الناس، وهم: متكلمو أهل السنة الذين

(١) جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر للمسناوي: ل ١/ ب، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء بالمغرب رقم (١/ ٣٤٢).

(٢) ينظر: حاشية الكلنبوي على شرح الدواني للعقائد العضدية: (١/ ١٨، ١٩)، دار سعادت، ١٣١٦هـ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: صـ٥٤، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٦، ١٤٢١هـ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب علي عواجي: (١/ ٢١١)، المكتبة العصرية، جدة، ط ٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) جهد المقل القاصر: ل (١٤/ أ).

تبرأوا من التشبيه والتعطيل، وأئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث، والذين أحاطوا علمًا بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي ﷺ، والذين أحاطوا علمًا بأبواب الأدب والنحو والتصريف، ولم يخلطوا علمهم بشيء من بدع الفرق الضالة، والذين أحاطوا علمًا بوجوه القراءات والتفسير على وفق مذاهب أهل السنة، والزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا، والمرابطون في ثغور المسلمين يحمون حمى الإسلام، وآخر الأصناف: عامة البلدان التي يغلب فيها شعار أهل السنة [١]، وأبو المظفر الإسفراييني ت (٤٧١هـ)، الذي يؤكد على أن أهل السنة هم أهل الحديث ،والرأي، وجملة فرق الفقهاء [٢]، وعضد الدين الإيجي ت (٧٥٦هـ)[٣]، والمرتضى الزبيدي ت (١٢٠٥هـ)[٤]، وغيرهم كثير.

ومن مدرسة الحنابلة: الإمام تقي الدين عبد الباقي الحنبلي ت (١٠٧١هـ) الذي يؤكد على أن طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة، وحنابلة، وماتريدية [٥]، والإمام شمس الدين السفاريني الحنبلي ت (١١٨٨هـ)، أهل السنة عنده هم: الأثرية، وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية، وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية، وإمامهم أبو منصور الماتريدي [٦]، وكذلك عند العلامة حسن بن معروف الشطي الحنبلي ت (١٢٧٤هـ)، الذي يجعل الفرقة

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي: صـ٢٧٢، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١٩٨٨م.

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الإسفراييني: صـ٢٥، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) شرح المواقف للشريف الجرجاني: (٣/ ٧١٧)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للمرتضى الزبيدي: (٢/ ٦)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٥) العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي الحنبلي؛ صـ٥٣، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية بشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لشمس الدين السفاريني: (١/ ٧٣)، مؤسسة الخافقين، دمشق: ط ٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الناجية هم أهل الحديث، ويفسر أهل الحديث بأنهم هم الأثرية، والأشعرية ،والماتريدية، ثم يقول: فإذا قلت: لفظ الحديث يقتصر على عدم التعددية حيث قال: «كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي»[١] فالجواب: أن الثلاث فرق هي فرقة واحدة؛ لأنهم كلهم أهل الحديث؛ فإن الأشاعرة، والماتريدية لم يردوا الأحاديث ولا أهملوها، وإنما فوضوها، أو أولوها، وكل منهم أهل حديث، فالثلاثة فرقة واحدة؛ لاقتفائهم الأخبار ،وانتحالهم الآثار[٢] .

وليس من شك أن هذا الأمر الذي نبه عليه الإمام المسناوي، وشاركه في ذلك علماء المدرستين إذا ترسخ عند الناس، ولاسيما عند طلاب العلم؛ فإنه يعمل على نزع فتيل النزاع، وإطفاء نار الفرقة.

٣- للتعميم في الأحكام أثره السيئ في إذكاء الخلاف بين المدرستين:

لاشك أن التعميم في الأحكام من أنماط السلوك السيئ الذي يجانبه الصواب في أغلب الأحيان، فمن المنطقي: أن تصدر الأحكام على صاحب القول أو الفعل، ولكن ليس من المقبول أن يصدر القول أو الفعل من بعض الناس ثم يعمم الحكم على الجميع، وهذا ما نبه عليه الإمام المسناوي في محاولته التقريب بين المدرستين، فإن سلم وجود اعتقاد فاسد – عند الحنابلة – فلا يسلم الحكم بذلك عليهم جملة، واعتقاد أن الجنس كذلك كله، فهذا الحكم عن الصواب بمعزل، ومن التحامل وسوء الظن بمنزل، ولا يخفى على العارف المنصف أن القوم كغيرهم من أرباب المذاهب، فيهم المفضول والفاضل، والعالم

(١) سنن الترمذي: ك/ أبواب الإيمان، ب/ ما جاء في افتراق الأمة، رقم (٢٦٤١)، ت/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٩٨م.

(٢) تبصير القانع في الجمع بين شرحي ابن شطي وابن مانع على العقيدة السفارنية: ياسر بن إبراهيم المزروعي: صـ٧٣، ٧٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

والجاهل، والناقص والكامل، والمتمكن الواصل، ومن هو دونه بمراحل، ويؤكد المسناوي على أنه وإن سلم وجود اعتقاد فاسد عند بعض المذاهب فإن ذلك سببه ما يدخله الرعاع، وجهلة الأتباع على الأئمة القدوة والعلماء الجلة، وإن ذلك موجود لدى سائر المذاهب إلا أنه مختلف بحسب القلة والكثرة؛ ولذلك من الخطأ أن تخص ذلك بمذهب دون غيره [1]، ويضرب أمثلة لما أدخله الأتباع في مذهب الإمام أحمد - رحمه الله -؛ بسبب قلة علمهم، وسوء فهمهم، فمن ذلك ما أدخله بعض المنتسبين إليه من اعتقاد كون كلام الله حرفيًا، وأنه مع ذلك قديم، ويرى المسناوي أن سبب ذلك أن أحدًا سأل الشافعي - رحمه الله - ت ٢٠٤ هـ عن قول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال الشافعي: لفظك بالقرآن مخلوق، فمضى السائل إلى الإمام أحمد، وشرح له ما جرى، فقال الإمام أحمد: هذه بدعة، يقول المسناوي: ففهم الأتباع من قول أحمد: هذه بدعة أنه يقول بقدم الحروف، وهو سوء فهم، بل الوجه في ذلك أن أحمد ﷺ أشار بقوله: هذه بدعة إلى الجواب عن مسألة اللفظ؛ إذ ليست مما يعني المرء، وخوض المرء فيما لا يعنيه بدعة، فكان السكوت عن الكلام في هذه المسألة أجمل وأولى، ولا يظن بأحمد أنه يرى أن اللفظ الخارج من الشفتين مخلوق[2].

كما يرى الإمام المسناوي أن ما وجد في مذهب الحنابلة من جنوح بعضهم إلى التجسيم كان سببه الخطأ في فهم موقف الإمام أحمد من التوقف عن تأويل الظواهر المستحيلة، نحو قوله - تعالى -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وما أشبهه، فتوهم الأتباع أن توقف الأئمة عن تأويل تلك النصوص؛ لاعتقادهم ظواهرها، وحاشاهم من ذلك، وإنما وقفوا عن تعيين تأويل لها؛ لتعدد التأويلات الصحيحة من غير علم بالمراد

(١) جهد المقل القاصر ل (٤٩/ أ).

(٢) جهد المقل القاصر: ل: (١٢/ أ، ب).

منها، بعد قطعهم بأن الظواهر المستحيلة غير مرادة ألبتة، وما أقبح أن يظن السوء بمن لا يليق به، ولذلك يؤكد المسناوي – حتى تضيق شقة الخلاف بين المدارس الإسلامية – على أنه لا يعتمد إلا على رأي الأئمة القدوة والعلماء الجلة، وأنه لا عبرة بما ينسبه الأتباع المقلدة الواقفة مع ظاهر المنقول، من غير تفريق بين المحكم والمتشابه، الفاقدة للاستضاءة بنور العلم [١].

٤ – **التأكيد على اتفاق المدرستين في أمهات المسائل، وأن خلافهم أكثره لفظي، وقليله معنوي:**

فالقوم متوافقون في أمهات المسائل وأصول الاعتقاد، وفي اعتقاد نفي التشبه، وكمال التنزيه، وبينهم خلاف في فروع المسائل، وأكثر الخلاف –في نظر المسناوي– لفظي، والخلاف المعنوي في مسائل قليلة، ومع كونه معنويًّا فلا يؤدي إلى تكفير، ولا إلى تبديع أو تضليل، وإنما هو كاختلاف الأشاعرة فيما بينهم في كثير من المسائل، وكلهم عن حمى شيخهم أبي الحسن يناضلون، وبسيفه الصارم يقاتلون [٢].

وما أجمله الإمام المسناوي هنا في الاتفاق في الأصول سبق أن بيَّنه الحافظ الذهبي ت (٧٤٨هـ) بجميل العبارة، فالمدارس الإسلامية من الشافعية، والحنفية، والحنابلة، وأهل الأثر، وأهل الكلام، ومثبتة الصفات، بينهم نزاع وخلاف شديد مع إيمان الكل بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث، والقدر، والانقياد للكتاب والصحاح والإجماع، وتعظيم الرب وإجلاله ومراقبته، والانقياد لرسول الله ﷺ، والخضوع له، والمحافظة على الفرائض والطهارة، والابتهال إلى الله في الهدى والتوفيق مع الذكاء والعلم.

ثم يتساءل الذهبي بأنه – رغم اتفاقهم في الأصول – كيف يتعجب بعضهم من بعض

(١) جهد المقل القامر: ل (٢٣/ ب).

(٢) جهد المقل القاصر: (ل ١١/ ب).

بأنه كيف خالف هذا في تأويل الصفات؟ وكيف يتعجب الآخر منه بأنه جمد على إثباتها وإقرارها، حتى إن التلميذ ليتعجب من شيخه، والمفضول من الفاضل؟! ثم يقول الذهبي: ما يجب أن يكون في حسبان كل مسلم صادق: ونحن نرجو للجميع العفو والمغفرة، ونعد خطأهم مع بذل الوسع وحسن النية في الأصول والفروع شيئًا واحدًا [١].

وأما كون الخلاف أكثره لفظي، وقليله معنوي، فهذا أمر يحتاج إلى بحث مستقل، تتبع فيه مسائل الخلاف بين المدرستين، وتدرس؛ لبيان حقيقة الخلاف، وإني على يقين بأن نتيجة البحث ستكون ما أكد عليه الإمام المسناوي.

وأضرب أمثلة على قضايا خلافية بين المدرستين، يمكن إرجاع الخلاف فيها إلى خلاف اللفظ والعبارة، فمسألة النصوص الموهمة للتشبيه ومنزلها من التأويل، أو التفويض، ولا يخفى أن تلك المسألة من أبرز مسائل الخلاف بين المدرستين- الخلاف فيها لا يبعد عن كونه لفظيًا؛ لأن قول المانع للتأويل: لله يد ليست كأيدينا، إثبات لليد، ونفي للماثلة، فقوله: (لله يد) إثبات، وقوله: (ليست كأيدينا)، صرف للفظ عن ظاهره، وهذا تأويل في الجملة، وقول المؤول: يد الله قدرته، تأويل تفصيلي، فالفريقان مشتركان في التأويل والتنزيه [٢]، يقول الإمام كمال الدين البياضي ت (١٠٨٣هـ): (إن مذهب السلف هو مذهب التأويل الإجمالي، ومذهب الخلف هو مذهب التأويل التفصيلي، فهو مشتركان في القول بالتأويل)[٣].

---

(١) جزء فيه التمسك بالسنن للحافظ شمس الدين الذهبي: صـ٥١، مكتبة العمرين العلمية، الإمارات، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٢) ضوابط التأويل وأحكامه في العقيدة الإسلامية د. مسعد عبد السلام عبد الخالق صـ٧٨٥، بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، العدد (٣٢).

(٣) إشارات المرام من عبارات الإمام للإمام كمال الدين البياضي الحنفي: صـ١٨٦، مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

ومسـألة دخول الأعمال في مفهوم الإيمان، أو خروجها عنه يمكن التقاء الفريقين فيها، فمقصد من فسر الإيمان بالتصديق هو الإيمان في لغة العرب، أو ما يتحصل به أصل الإيمان، ومقصـد من جعل الأعمال داخلًا في مفهوم الإيمان هو الإيمان الشـرعي، أو ما يتحقق به كمال الإيمان، وبذلك يعود الخلاف لفظيًّا [١]، وسـيأتي أن الخلاف في قضـية كلام الله – تعالى – بين المدرستين يمكن أن يكون لفظيًّا.

٥- التحذير من الأقوال الباطلة التي تنسب لأئمة أهل السنة ومحاولة حمل كلامهم على محمل حسن:

فقد تنسب الأقوال الباطلة لأئمة أهل السنة؛ بقصد تشويه صورتهم، وزعزعة مكانتهم، ولذلك كان لا بد من التأكد من نسـبة الأقوال إليهم، وإذا تأكدنا أنهم قالوها حاولنا قدر الإمكان فهمها في ضـوء الظروف الملابسـة والدافعة إلى قولها، فإن بقي لبس حملنا كلامهم على محمل حسـن، وهذا ما نبه إليه الإمام المسـناوي في قوله: فقد ابتلينا بأقوال باطلة تنسـب لأئمة السـنة، والله – تعالى – يعلم هل صـدرت منهم أو لا، وعلى تقدير صـدورها فعلى أي وجه صدرت منهم، وهو – سبحانه – حسيب من ينقل مثل ذلك، ولا يدفعها عمن لا تليق به إن أمكنه ذلك) [٢].

ويحاول المسـناوي حمل ما نسـب إلى الشـيخ عبد القادر الجيلاني من القول بالجهة، والتجسـيم بأنه على تقدير ثبوته عن الشـيخ، فإما أن يكون قاله أول العمر قبل التمكن والرسـوخ في العلم والعرفان، ولاسـيما علم العقائد، وخصـوصًـا نفي الجهة في حقه تعالى،

(١) شـرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: (٢/ ٤٦٢– ٤٧٠)، ت/ شـعيب الأرناؤوط، مؤسـسـة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، شرح جوهرة التوحيد للإمام البيجوري: صـ٧٥.

(٢) جهد المقل القاصر: (ل ٥١/ ب).

فإنه عسير التعقل جدًا؛ لأن الإنسان طول عمره لا يرى ولا يدرك موجودًا إلا وهو في جهة، فاعتقاد موجود ليس في جهة لا يحصل إلا بعد معرفة ذلك من العقل والنقل، وبعد التعمق في العلم، ومزيد التبحر فيه، ولذلك لما ترقى الشيخ عن تلك الدرجة السفلى في الطلب رجع إلى الصواب [١].

وإما بسبب ما عرف عنه من التوقف عن تأويل الظواهر المستحيلة، فتوهم توقفه لاعتقاده ظواهرها، ولا يتعين ذلك؛ لجواز أن يكون اتباعًا للسنة، أو لتعدد التأويلات من غير علم بالمراد منها، بعد القطع بأن الظواهر المستحيلة غير مرادة ألبتة [٢].

ويخلص الإمام المسناوي من محاولته إلى أن الحنابلة مبرؤون مما نسبه إليهم متأخرو الأشاعرة، كما أن الأشعرية مبرؤون مما نسبه إليهم الحنابلة، والكل على هدى إن شاء الله تعالى [٣].

(١) جهد المقل القاصر: (ل ٥١/ ب).

(٢) جهد المقل القاصر: (ل ٥١/ ب، ل ٥٢/ ب).

(٣) جهد المقل القاصر: (ل ٤/ ب).

المحاولة الثالثة: للإمام عبد الغني النابلسي الأشعري الصوفي ت ١١٤٣هـ:

حاول الإمام عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم النابلسي ،الدمشقي، الحنفي، الأشعري، الصوفي ، النقشبندي، القادري ،المولود بدمشق سنة ١٠٥٠هـ، والمتوفى بها سنة ١١٤٣هـ [١] أن يوفق بين الأشاعرة والحنابلة في قضية من أهم قضايا الخلاف بينهما، وهي قضية كلام الباري سبحانه، وقد سجل محاولته في كتاب سماه: (التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي)، وهي محاولة تبدو من تسمية الكتاب أنها تجمع بين آراء المدرستين في جميع القضايا، أو معظمها، لكنه صرح في مقدمة كتابه أنه وفق بين معتقد الحنابلة والأشعرية في كلام الله - تعالى - على وجه البيان [٢]، لكنها محاولة تكتسب أهميتها من حيث التصريح بإمكانية التوفيق بين آراء المدرستين ليس في قضية الكلام وحدها، بل في سائر القضايا، ولذلك جعل عنوان الكتاب (التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي)، بدون تقييد العنوان بقضية من القضايا، وتتخلص محاولة الإمام النابلسي في النقاط الآتية:

١- أكد النابلسي على أن الطائفتين من أهل السنة والجماعة وأنه لا فرق بين معتقديهما [٣].

ولا يخفى أن مراد الشيخ أنه لا فرق بين معتقديهما من حيث الاتفاق في الأصول، وإن وجد فرق في بعض الفروع، إلا أنه لا يؤثر في المودة كما سبق بيانه، وقد سبق أيضًا الحديث

(١) ترجمته في: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل محمد خليل الحسيني: (٣/ ٣٠)، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني: (٢/ ٧٥٦)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، الأعلام: (٤/ ٣٢)، معجم المؤلفين: (٥/ ٢٧١).

(٢) التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي للإمام عبد الغني النابلسي: صـ١٢٢، ت/ أبي سابق سوفر يانتو القدسي، سوكابي ط١، ١٤٣٦هـ.

(٣) التوفيق الجلي: صـ٢٢٢.

عن هذا الأمر (اتساع مفهوم أهل السنة ليشمل المدرستين)، وبيان أهميته في نزع فتيل الخلاف في المحاولة السابقة.

٢- كما بين النابلسي أن الفريقين - في قضية الكلام - مجمعون على أن هذا المقروء بالألسنة، والمحفوظ في القلوب، المكتوب في المصاحف، كلام الله القديم، المنزل على نبينا محمد ﷺ، من غير خلاف بينهم في شيء من ذلك، كما أن الفريقين يشتركان في التنزيه، فالأشعرية ينزهون كلام الله - تعالى - عن الحروف والأصوات الحادثة، والحنابلة ينزهون كلام الله عن عدم مطابقته لما هو عليه في علم الله القديم [١].

وإن الاتفاق في التنزيه، وفي كون المقروء بالألسنة والمكتوب في المصاحف، والمحفوظ في القلوب هو كلام الله القديم لموجب لإزالة الوحشة بين المدرستين، ولذلك قال الإمام ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ في مسألة اختلاف أهل السنة في القرآن الكريم: (وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة؛ لأنهم مجمعون على أصل واحد، وهو القرآن كلام الله غير مخلوق، في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حالٍ) [٢].

٣-وإنما الخلاف بين المدرستين-في نظر الإمام النابلسي في كون كلام الله - تعالى - بحرف وصوت أو لا، وفي كون المكتوب في المصاحف والمسموع عند التلاوة قديم أو حادث.

فالحنابلة يقولون: كلام الله - تعالى - القديم بحرف وصوت، وهو بعينه المشتمل على الحروف، والأصوات، والسور، والآيات [٣].

---

(١) التوفيق الجلي: صـ١٢٣، ١٣٦.

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة الدينوري: صـ٥٧، دار الراية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٣) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد لتقي الدين عبد الغني المقدسي الحنبلي: صـ١٤٠، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

والأشـعرية يقولون: كلام الله القديم معنى قديم قائم بذاته تعالى، ليس بحروف ولا بأصوات، كما يقولون: المقروء والمحفوظ والمكتوب حروفه حادثة [١].

٤- ويرى النابلسي أن الخلاف بين المدرستين إنما هو خلاف اللفظ والعبارة؛ لأن مقصود الحنابلة من قولهم: القرآن بعينه كلام الله أنه مطابق لما في علم الله القديم، ولا يقصدون أن كل قارئ لكلام الله بالحروف والأصوات قراءته قديمة، بل هي مخلوقة، فعندهم أن الذي يظهر من القارئ والحافظ والكاتب على طبق ما في علم الله القديم، لا يزيد عما في علم الله القديم ولا ينقص، وليس من كلام الله الذي يقرأه القارئ، ويحفظه الحافظ، ويكتبه الكاتب بالحروف والأصوات المختلفة قراءة وحفظًا وكتابة شيء حادث عند الله في علمه القديم، وإنما ذلك كله حادث في عالم الأكوان [٢].

ومقصود الأشعرية من قولهم: كلام الله - تعالى - ليس بحروف وأصوات، ليس نفي الحروف والأصوات، بل الكلام الذي بالحروف والأصوات عند الله لا يشبه الكلام الذي بالحروف والأصوات عندنا، فالله - تعالى يتكلم - بحروف وأصوات قديمة؟، ولكن لا يعرف ذلك الكلام، ولا تعرف حروفه وأصواته، ولا تدرك تركباته، ولذلك يعبرون عنه بأنه معنى قديم قائم بذاته، وإنما قالت الأشاعرة: كلام الله ليس بحروف ولا أصوات؛ ليحترزوا عن كونه بحروف وأصوات حادثة مثل حروفنا وأصواتنا، مع علمهم بأنه عندنا لا يسمى كلامًا إلا بحروف وأصوات، ولكن لما كان كلام الله القائم بذاته لا تعرف حقيقة حروفه وأصواته؛ لأنها قديمة، ونحن حادثون سكت الأشاعرة عن القول بالحرف والصوت، والأشاعرة لا يخفى عليهم أن الذي نقرأه ونحفظه حاضر في علم الله القديم، وهو قديم في علمه، وليس بحادث [٣].

(١) التوفيق الجلي: صـ١٢٤ وما بعدها، وينظر رأي الأشاعرة في: شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني: (٣/ ١٠٦)، شرح المواقف للشريف الجرجاني: (٣/ ١٣٣)، شرح جوهرة التوحيد: صـ١٤٧.

(٢) التوفيق الجلي: صـ١٢٥ - ١٢٨.

(٣) التوفيق الجلي: صـ١٣١ - ١٣٤.

قلت: ذكر الإمام الألوسي الأشعري ت ١٢٧٠ هـ أن الذي انتهى إليه كلام أئمة الدين كالماتريدي والأشعري وغيرهما من المحققين أن موسى - عليه السلام - سمع كلام الله بحرف وصوت، كما تدل عليه النصوص التي بلغت في الكثرة مبلغًا لا ينبغي معه تأويل، ولا يناسب في مقابلته قال، وقيل) [١].

وحقق الحافظ ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) مسألة الصوت بأن أحدًا من الأئمة لا ينفي الحديث الثابت عن عبد الله بن أنيس، والذي فيه أن الله يتكلم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب [٢]، ولكن بعضهم يتوقف في قبوله؛ لأنه من رواية ابن عقيل، وهو سيئ الحفظ، وقال أصحاب هذا الرأي: لم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح غير حديث عبد الله بن أنيس، فإن كان ثابتًا، فإنه يحمل على غيره من الأحاديث، كما في حديث عبد الله بن مسعود وأبي هريرة - رضي الله عنهما - أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحي صوتًا[٣]، فيحتمل أن الصوت للسماء، أو للملك الآتي بالوحي، أو لأجنحة الملائكة، أو على مجاز الحذف أي يأمر فينادي، أو أن الراوي أراد فينادي نداء، فعبر عنه بقوله: بصوت، وإذا احتمل الحديث ذلك لم يكن نصًا في المسألة.

ويؤكد ابن حجر أن ذكر الصوت ثابت بالأحاديث الصحيحة، فيجب الإيمان به، ثم إما التأويل، وإما التفويض [٤].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي: (١/ ١٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) ذكره البخاري معلقًا: صحيح البخاري: ك/ التوحيد، ب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، والحديث في مسند الإمام أحمد، رقم (١٦٠٤٢)، المسند للإمام أحمد بن حنبل، ت/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) صحيح البخاري: ك/ التوحيد، ب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ معلقًا.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: (١٣/ ٤٥٧) وما بعدها، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ.

٥- فحاصل كلام الإمام النابلسي: أن الأشعرية لا ينفون أن الله متكلم بحروف وأصوات قديمة، ولكن لما كانت لا تعلم كيفيتها توقفوا عن إطلاق الحرف والصوت، وأن الحنابلة في قولهم بإثبات الحرف والصوت، لا يقصدون أن كلام الله يشبه كلامنا، بل مرادهم أن الحروف والأصوات قديمة كما هي في علمه – تعالى –، وأن الأشعرية في نفيهم كون المقروء والمتلو والمسموع قديما لا ينفون القدم عن كلام الله – تعالى –، بل يتفقون والحنابلة في أن كل ما هو من عمل الإنسان حادث، ولذلك لا يفهم قول الحنابلة: إن المسموع والمقروء والمكتوب هو عين كلام الله القديم إلا على معنى مطابقته لما في علم الله القديم، ولا يلزم من ذلك كون حروفنا وأصواتنا قديمة بل حادثة، فنظرة الحنابلة في هذه المسألة لما في علم الله القديم، ونظرة الأشاعرة لما هو كائن موجود في العالم الخارجي.

٦- ضرب النابلسي مثالًا بين به أن الخلاف بين المدرستين في مسألة كلام الباري خلاف لفظي، فبذرة النبات إذا نظرت إليها تجدها جامعة لكل ما يشتمل عليها ذلك النبات، فالنواة فيها النخلة بجميع عراجينها، وسعفها، وجريدها، وطلعها، وثمرها على التمام والكمال قبل وضعها في الأرض، فإذا وضعت في الأرض، وحفظت مما يطرأ عليها من الآفات المفسدة لها، وتعهدت، ظهر من النواة شجرة النخلة التي كانت فيها على حسب ما هو فيها، فما كان في النواة بالقوة ظهر بالفعل فإذا قال إنسان: جميع ما في هذه النخلة بما هو ظاهر منها ثابت محقق في غيب النواة كان صادقًا، وإذا قال الآخر: كل ما هو ظاهر لنا من تلك النخلة لا يشبه ما غاب عنا في باطن غيب النواة كان صادقًا.

فقول الأشعري: كلام الله القديم معنى قائم بذاته – تعالى –، ليس بحرف، ولا بصوت يشبه قول القائل: إن النخلة التي في باطن غيب النواة ليست بنخلة تشابه النخلة الظاهرة، وقول الحنبلي: إن كلام الله القديم هو هذا الكلام المنزل المقروء والمحفوظ والمكتوب

بحروفه وأصواته يشبه قول القائل: إن هذه النخلة الظاهرة هي عين تلك النخلة التي كانت في باطن النواة، فكلاهما صادق، وليس الكلام في محل واحد حتى يكون الخلاف حقيقيًا، بل كلام الأشاعرة متجه إلى الوجود الفعلي، وكلام الحنابلة متجه إلى الوجود بالقوة [١].

قلت: وما فعله الإمام النابلسي هنا نظير ما فعله حجة الإسلام الغزالي ت ٥٠٥هـ في جمعه بين اختلاف الآراء حول صفات الفعل في حق الباري - تعالى - كالجواد والرازق والخالق، هل يوصف بها أزلاً، أو لا؟ فمراد القائل بالأول: الوجود بالقوة، ومراد الآخرين من الوجود بالفعل [٢].

٧- ويرجع النابلسي اتساع الخلاف بين المدرستين في هذه القضية إلى الخطأ في الفهم، فلما سمعت الحنابلة قول الأشعرية: كلام الله ليس بحرف ولا بصوت، ظنوا أن الأشعرية يثبتون في الكون ما ليس في علمه - تعالى -، وأنهم يقولون: إن القرآن المنزل عن هذه الحروف والأصوات لا يعلمه الله - تعالى - بعلمه القديم على طبق ما هو عليه عندنا، مع أن الأشعرية لم يقولوا ذلك [٣]، وسكت الإمام النابلسي عن ذكر فهم الأشاعرة خطأ لكلام الحنابلة، لكني أقول: لما سمعت الأشعرية قول الحنابلة: كلام الله تعالى القديم هو بعينه الذي عندنا من الحروف والأصوات والسور والآيات ظنوا أنهم يقولون بقدم الحروف والأصوات الحادثة، مع أن الحنابلة لم يقولوا ذلك.

---

(١) التوفيق: الجلي: صـ١٤٢ - ١٤٨.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام الغزالي: صـ٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) التوفيق الجلبي: صـ١٣٦.

* وبعد،،،

فإني لم أكتب هذه المحاولات على سبيل الاستقصاء والتتبع، بل هي مجرد لفت للأنظار بأن التقريب بين الحنابلة والأشاعرة، وسائر مدارس أهل السنة أمر ممكن، وأن هذا ليس مستحيلًا لو سمحنا لأنفسنا بأن نتخلى عن التعصب، وأن ننظر إلى الأمام بدلًا من النظر تحت الأقدام، وأن نهتم بالأصول قبل الاهتمام بالفروع، ومما ينبغي التنبيه إليه أن هناك بذورًا كثيرة عند علماء أهل السنة تصلح للتقريب بين مدارسها، لكنها تحتاج إلى رعاية حتى تستوي على سوقها، تلك البذور موجودة عند أبي بكر البيهقي ت ٤٨٥هـ، وأبي الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ، وسعد الدين التفتازاني ت ٧٩٣هـ وغيرهم كثير، لكن الأمر يحتاج إلى أن يشمر الباحثون عن سواعد جهدهم، وخالص نواياهم؛ لإخراج تلك البذور من عالم التربة إلى عالم الظهور.

وإني أؤكد في ختام هذا البحث بأن من طالع النتاج الفكري لمدارس أهل السنة، ورأى تمسك كل مدرسة بآيات وأخبار، ذهب بها اجتهادها إلى أنها نصوص أو ظواهر فيما تذهب إليه، عذرها ورحمها، وعلم أنها لم تكل جزافًا، وإنما وزنت الأمر بمعيار ما أدى إليه النظر، وتوخت الحق جهدها، نعم، ليس كل من يتوخى الحق يصيبه، إلا أنه ليس على بازل جهده ملام، فمدارس أهل السنة في دائرة أصول الدين- مجتهدة لها ما للمجتهدين، وهذا أمر لا يرتاب فيه منصف، ولا ريب أن المجتهد معذور، بل مأجور وإن أخطأ، وإذا انتفى الإثم عن المجتهد فأنى يصح نبذه بالألقاب، والحفيظة عليه؟ وهل فرق الأمة وجعلها شيعًا، وأذهب ريحها إلا هذا التنابز بالألقاب؟ والغياب عما يجمع الكل من إخوة الإسلام؟!

وما أجمل أن ينتسب المرء إلى الإسلام، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام، ويحسب جميع المسلمين على الحق أعوانًا [1].

وأقبح بالمرء أن يكون الحامل على إنكاره على غيره أنه أبصر ما أمامه، ولم يلتفت إلى ما وراءه، ووقف على بعض المسائل التي لم يهتد لواضح سبيلها، ولم يشعر بوجه دليلها، ولا علم اختلاف العلماء في أصلها، ولم يعطها من الفهم والتأمل حقها، ورأى أن العلم بخلاف ما انتهى إليه فهمه خطأ، فظن ألا علم إلا ما علم، ولا فهم إلا دون ما فهم، ثم تراه يستحقر العامة، ويجهل الخاصة، بسبب اعتقاده أنه وحده على الجادة.

وغاية المرام: أنه يحسن بكل مسلم أن يكف لسانه عن أهل القبلة، ما أمكنه ذلك، ما داموا قائلين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، غير مناقضين لها، فالله أعلم بالناجي والهالك من خلقه، والمطيع والعاصي من عباده، وينبغي أن يكون هذا مذهب كل من ينظر إلى خلق الله بعين الرأفة والرحمة، ولم يدخل بين الله وبين عباده فيما غاب عنه علمه، وعدم فيه سبيل اليقين [2].

والله الهادي إلى سواء السبيل

(١) ينظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة: صـ٨٠ وما بعدها.

(٢) ينظر: الحكم بالعدل والإنصاف: (١/ ١٦٧، ٢٥٥)، (٢/ ٣٦٣).

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصـلاة والسـلام على سـيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه التابعين.

وبعد،،،،،

فقد عشـت مع هذا البحث مدة أجمع شـوارده، وأحرر مسـائله، وأراجع قضـاياه، واستخلص نتائجه، والتي أهمها:

١- أن التقريب المنشـود هو طلب جميع العقلاء الذين يحاولون تقريب المسـافات البعيدة بين المذاهب الفكرية في محيط أهل السـنة، بحيث يلتقي أصـحاب تلك المدارس حول نقطة واحدة، هي نقطة الاحترام والتواد والتناصـح والتكامل، بصـورة تجمع الشـمل، وتنزع فتيل التشرذم والفرقة.

٢- ليس معنى التقريب إدماج المذاهب الفكرية الموجودة في محيط مدرسـة أهل السـنة في مذهب فكري واحد، بل التقريب الذي ينبغي أن نسـعى إليه هو الانطلاق من تمايز المذاهب الفكرية في محيط أهل السـنة، مع العدول عن نفي مذهب للمذاهب الأخرى بالتعصب ورفض ما عداه.

٣- أن التقريب بين المدارس الفكرية في محيط أهل السنة ضرورة شرعية وفكرية ووقتية.

٤- أن الحنابلة والأشـاعرة كانا متفقين غير مفترقين حتى كانت فتنة أبي نصـر ابن القشـيري ت ٥١٤هـ، ثم اتسـع الخلاف بعد ذلك، ومما زاده التعصـب بين الجانبين، وكذلك الوعظ والمدارس الطائفية.

٥- أن من أهم أسباب الاختلاف بين المدرستين:

- التعصب الفاسد.

- ترك صريح الألفاظ والأخذ بلازم الأقوال.

- التعميم في الأحكام.
- الخطأ في الفهم.

٦- أن من أهم القواعد التي تقرب بين المدرستين:

- أن نأخذ آراء المخالفين من كلامهم وكتبهم، لا من كلام غيرهم عنهم، وأن نتحرى في البحث عن آرائهم قبل إصدار الأحكام عليهم.
- تحقيق الأقوال، والجمع بين المتفرقات، مع حسن الفهم.
- أن نحمل كلام المخالف على محمل حسن ما أمكن ذلك، مع حسن الظن.
- النظر إلى مقاصد المخالفين.
- التأكيد على أن مفهوم أهل السنة معنى واسع لا يقتصر على مدرسة بعينها.
- التأكيد على اتفاق المدرستين في أمهات المسائل.
- التحذير من الأقوال الباطلة التي تنسب لأئمة أهل السنة.

٧- أنه بالمعالجة العملية لكبرى المسائل الخلافية بين المدرستين تأكد لنا أن الخلاف لفظي غير مؤثر في عقد الإيمان.

وإني أوصي في هذا البحث بأمرين:

١- إفراد مشروع علمي مستقل، تتبع فيه مسائل الخلاف بين المدرستين على سبيل الاستقصاء؛ لبيان حقيقة الخلاف في تلك المسائل، هل هو لفظي أو معنوي.

٢- محاولة الانتقال بفكرة هذا البحث إلى المدارس الأخرى الموجودة في محيط أهل السنة، مثل التقريب بين الحنابلة، والماتريدية، والأشاعرة والماتريدية، وسائر المدارس الأخرى.

وأخيرًا: فالله أسأل أن ينفع بهذا البحث كاتبه، وقارئه في الدنيا والآخرة، وأن يكتب لنا القبول، وأن يستر منا الزلات؛ إنه ولي الإجابة، والقادر عليها.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبكار الأفكار في أصـــول الدين لســـيف الدين الآمدي، ت/ أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٣- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضـــرة مكناس، لابن زيدان الســـلجماني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤- إتحاف الســادة المتقين بشــرح إحياء علوم الدين للمرتضــى الزبيدي، مؤســســة التاريخ العربي، بيروت، ط ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥- إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٦- الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، د/ خالد كبير علال، دار الإمام مالك، الجزائر، ط ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧- إشارات المرام من عبارات الإمام، للإمام كمال الدين البياضي الحنفي، مصطفى البابلي الحلبي، ط ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.

٨- أصول الفقه لابن مفلح الحنبلي، مكتبة العبيكان، السعودية.

٩- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٤، ٢٠٠٢م.

١٠- إفاضـــة العلام بتحقيق مســـألة الكلام، لبرهان الدين الكوراني، دار الذخائر، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

١١- البدر الطالع بمحاسـن من بعد القرن السـابع، لمحمد بن علي الشـوكاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٢- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين بن كثير، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣- تبصير القانع في الجمع بين شرحي ابن شطي وابن مانع على العقيدة السفارينية، ياسر بن إبراهيم المزروعي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٤- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر الإسفرايني، عالم الكتب، بيروت، ط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٥- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم هبة الله ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.

١٦- تجربة التقريب بين المذاهب، فهمي هويدي، بحث منشور بمجلة أمة الإسلام العلمية، السودان، العدد (٤)، ديسمبر ٢٠٠٩م.

١٧- تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبد الرحمن المدني الأنصاري، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

١٨- تاريخ الجهمية والمعتزلة، لجمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٩- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٢٠- التعددية والحرية في الإسلام، حسن بن موسى الصفار، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ٤، ٢٠١٠م.

٢١- التعريفات للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢- التفسير من سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور، دار الصميعي، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٣- التفكير الفلسفي في الإسلام لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود رحمه الله، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٩م.

٢٤- التقريب بين المذاهب الإسلامية (أسسه، وقيمه، ودور العلماء فيه)، محمد علي التسخيري، مجلة الإسلام، السودان، العدد (٦) ٢٠١٠م.

٢٥- التقريب بين المذاهب الإسلامية، د/ محمد عمارة. بحث منشور بمجلة أمة الإسلام العلمية، السودان، العدد (١)، مارس ٢٠٠٩م.

٢٦- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري الهروي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٧- التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي للإمام عبد الغني النابلسي، ت/ أبي سابق سوفر يانتو القدسي، ط١/ ١٤٣٦هـ.

٢٨- جزء فيه التمسك بالسنن للحافظ شمس الدين الذهبي، مكتبة العمرين العلمية، الإمارات، ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩- جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣٠- جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر، للمسناوي، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز، بالدار البيضاء بالمغرب، رقم (٣٤٢/ ١).

٣١- حاشية الكلنبوي على شرح الدواني للعقائد العضدية، دار سعادات، ط/ ١٣١٦هـ.

٣٢- الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف لأبي سالم العياشي، ت/ د. عبد العظيم صغيري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١/ ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٣- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة الدينوري، دار الراية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣٤- دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، لأبي بكر الحصني، دار المصطفى، الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٤- الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي (تلميذ الكوراني)، ت/ د سعيد الفاضلي، ود/ سليمان القرشي، دار السويد، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٧- الروح لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٨- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل محمد خليل الحسيني، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٩- استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية ودورها في وحدة الأمة د/ محمد حسن تبرانيان، مقال منشور بمجلة المنبر (الصادرة) عن هيئة علماء السودان، العدد (١)، مارس ٢٠٠٧م.

٤٠- سنن الترمذي، ت./ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٩٨م.

٤١- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٣- شرح جوهرة التوحيد لبرهان الدين البيجوري، مطبعة القدس، الدراسة بالأزهر، ٢٠١١ ط٢.

٤٤- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ت/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٥- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس، دار الهجرة، السعودية، ط ٣، ١٤١٥هـ.

٤٦- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٦، ١٤٢١هـ.

٤٧- شرح المقاصد سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.

٤٨- شرح المواقف للشريف الجرجاني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٩- صحيح البخاري. دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٠- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٥١- ضوابط التأويل وأحكامه في العقيدة الإسلامية د. مسعد عبد السلام عبد الخالق، بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، عدد (٣).

٥٢- طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، ط٢، بدون تاريخ.

٥٣- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، دار هجر، ط ٢، ١٤١٣هـ.

٥٤- الاعتقاد لابن أبي يعلى الحنبلي، دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥٥- العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي الحنبلي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ.

٥٧- فتح الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن محسن، دار المؤيد، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥٨- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب علي عواجي، المكتبة العصرية، جدة، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥٩- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٦٠- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١٩٨٨م.

٦١- الفروع لابن مفلح الحنبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٢- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٦٣- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢/ ١٩٨٢م.

٦٤- فوات الوفيات، لصلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

٦٥- الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٦٦- الاقتصاد في الاعتقاد لتقي الدين عبد الغني المقدسي الحنبلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٦٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي، ت/ د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٦٨- الكليات لأبي البقاء الكفوي الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٦٩- الكافي في فقه الإمام أحمد لموفق الدين ابن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧٠- لسان العرب لجمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٧١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية لشمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٣/ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧٢- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧٣- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧٤- المسند للإمام أحمد بن حنبل ت/ شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧٥- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة د/ عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

٧٦- المعجم الفلسفي. د/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١٩٨٢م.

٧٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٧- معجم المؤلفين لرضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ.

٧٨- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٩- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٨٠- موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

٨١- الوحدة الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة (رحمه الله) دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٨٢- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخص..... ٢٠٨٥
المقدمـــة ٢٠٨٨
المبحث الأول التقريب مفهومه وضرورته ٢٠٩٠
مفهوم التقريب ٢٠٩٠
التقريب المقصود في هذا البحث ٢٠٩٢
ضرورة التقريب ٢٠٩٣
المبحث الثاني الحنابلة والأشاعرة من الوفاق إلى الاختلاف ٢٠٩٥
المبحث الثالث محاولات للتقريب بين الحنابلة والأشاعرة ٢١٠٠
المحاولة الأولى: للإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني الشافعي الأشعري ت ١١٠١هـ ٢١٠٠
أولاً: أسباب الاختلاف في نظر الكوراني ٢١٠١
ثانيًا: قواعد التقريب عند الإمام الكوراني..... ٢١٠٣
ثالثًا: التقريب العملي عند الإمام الكوراني ٢١٠٥
- قضية النصوص الموهمة للتشبيه ٢١٠٥
- قضية كلام الله تعالى ومحاولة الكوراني التقريب فيها بين المدرستين..... ٢١٠٩
أولاً: إثبات الكلام النفسي من نصوص الكتاب والسنة..... ٢١١٠

ثانيًا: إثبات أن الحنابلة يقولون بالكلام النفسي من حيث لا يشعرون ٢١١٣
ثالثًا: بيان أن قول الحنابلة: إن المسموع والمتلو قديم لم يقله أحمد بن حنبل ت (٢٤٠هـ)، وإنما فهموا كلامه على وجه الخطأ ٢١١٥
رابعًا: بيان أن قول الأشاعرة: المسموع والمتلو والمقروء حادث، لا يبتعد كثيرًا عن رأي الحنابلة ٢١١٦
المحاولة الثانية: للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي المالكي الأشعري الصوفي ت ١١٣٦هـ ٢١١٨
المحاولة الثالثة: للإمام عبد الغني النابلسي الأشعري الصوفي ت ١١٤٣هـ.....٢١٢٧
الخاتمـــة ٢١٣٥
المصادر والمراجع ٢١٣٧
فهرس الموضوعات ٢١٤٤